دراسة فلسفية لبعض الفرق الشيعية

الامامية - الزيدية - النصيرية - البابية والبهائية

تأليف

دكتورة زينب محمود الخضيري

كلية الآداب - جامعة القاهرة

١٩٨٦

دار الثقافة للطباعة والنشر

٢١ شارع كامل صدقي بالفجالة

ت : ٩١٦٠٧٦ - القاهرة

إهداء

الى زوجى الاسـتاذ

الدكتور حسـن عثمـان

مقدمة

تواجه الدارس لفرق الشيعة عدة صعاب أولها اختلاف المصادر التى يتعين عليه الرجوع اليها اختلافا بينا ، يصل أحيانا الى حد التعارض. فالمصادر السنية عن الشيعة من قبيل الأشعرى والايجى والشهرستانى والقاضى أبى بكر بن العربى تختلف تماما عن المصادر الشيعية مثل حميد الدين الكرمانى والعاملى ومن المحدثين مغنية ومصطفى غالب . فالسنى يأخذ غالبا جانب المعارض للتشيع ولأسسه بينما الشيعى يجتهد فى الدفاع عن عقيدته . والمصادر الشيعية نفسها تختلف فيما بينها وفقا للفرقة التى تنتمى اليها ، وحسب الزمان الذى وضعت فيه . فما جاء عند محمد جواد مغنية ومصطفى غالب يختلف عما جاء فى مصادر الشيعة القديمة . وكل هذه المصادر سواء أكانت سنية أم شيعية تختلف عن كتابات الباحثين الغربيين الذين يتناولون عقائد فرق الشيعة المختلفة تناولا هادئا وموضوعيا فى ظاهره ، وقد يكون مغرضا فى باطنه . بل ان كتابات الباحثين الغربيين اليوم تحثها مصالح سياسية فى أغلب الظن وهو ما لا يمكن لأحد انكاره ، ولذا يصعب الحكم عليها . المصادر تمثل اذن صعوبة بالغة للباحث ولذا كما قال يحق محب الدين الخطيب فى احدى هوامشه على كتاب « العواصم من القواصم » لأبى بكر بن العربى ، لابد من النظر الى ما جاء فى هذه المصادر لا على انها تمثل الحقيقة بل على انها مادة غزيرة للبحث وللدرس ، يعمل النقد العقلى عمله فيها ليستخرج منها الحقيقة . وفى محاولتى هذه لدراسة ست من فرق الشيعة لا خمس كما جاء فى العنوان اذ ان الامامية تنقسم الى اثنى عشرية واسماعيلية ـ التزمت بمنهج المقارنة بين المصادر المتنوعة الانتماءات سعيا وراء الحقيقة .

أما ثانى الصعوبات التى تواجه الباحث فى هذا المجال فهى التزام الشيعة دائما فى رأى بمبدأ التقية ليس فى حياتهم فحسب بل فى كتاباتهم

مما جعل هذه الأخيرة ملغزة تحتاج للتأويل فى اغلب الأحيان ، فهى تستر اكثر مما تكشف ، مما يصعب معه ادراك مكنونها لغير اهلها · ولذا لم يكن غريب ان يوجه احد علماء الشيعة الاسماعلية لوما شديدا لعالمين مصريين فاضلين كانا على دراية كبيرة بالفكر الشيعى الاسماعيلى لعجزهما عن فهم المضمون الحقيقى لكتاب للكرمانى كانا قد قاما بتحقيقه · فللشيعة دائما اسرارهم وكثير من كتبهم سرية لا يعرفها الا هم ·

وسط هذه الصعاب التى ادركتها منذ اول الطريق حاولت السير فى دراستى ، فرجعت للاصول وقارنت النصوص · وهذه الدراسة التى تسعى للالتزام بالطابع الاكاديمى ، لا تهدف الى مهاجمة التشيع بل تهدف الى بيان حقيقته بقدر المستطاع · فالدراسة الأكاديمية ليست صاحبة دعوة · ولو تحقق الأمل وانكشفت لى الحقيقة لساعدنى هذا على الحكم السليم · ولنا فى نهاية دراستنا أن نتساءل هل التشيع هو الاسلام حقا ؟ (الاسلام فى فطرته الأولى) أم هو تحريف لكثير من عقائده ومفاهيمه ودس لما هو غريب عليه ؟ وقد نستطيع الاجابة عن هذه الاسئلة وقد نعجز · اما أن أبدأ دراستى ولدى افكار واحكام مسبقة تضغط على عقلى طوال الوقت بحجة خدمة الفكر الاسلامى فمما ارفضه لصالح هذا الفكر نفسه · ولهذا رأيت ان تكون دراستى للفرق الست التى تناولتها هنا فى اساسها تحليلا فلسفيا يهدف الى ابراز ما اخذته من العقيدة الاسلامية وما اقحمته عليها من مفاهيم وعقائد ماخوذة من ضروب سابقة من التراث سواء أكان التراث الفارسى ، أم التراث اليهودى ـ المسيحى ، أم التراث الفلسفى اليونانى ·

أصبح الاسلام فى عصرنا هذا مهددا من قبل الانقسامات التى هوى بين مخالبها ابناؤه ، وعلى كل مسلم مخلص دور ينبغى أن يتطلع به حتى يحافظ على سلامته وعلى فطرته الأولى ، ولكل وسيلته · أما وسيلة الباحث فهى الدراسة العلمية الهادئة لا المعالجة العصبية المتعصبة لقضاياه ومشاكله ·

بقى أن افسر اختيارى لهذه الفرق الست · لقد اخترت الشيعة الامامية بفرقتيها الشهيرتين الأثنى عشرية والاسماعيلية لكونها أكبر

الفرق عددا وانتشارا الى يومنا هذا · واخترت الزيدية لأنها اقرب الفرق الشيعية الى اسلامنا السنى ولأن بها مفهوما رائعا للامام ، فالامام الزيدى لا يكون اماما الا اذا كان مصلحا وصاحب قضية · واخترت النصيريه لأنها أكثر الفرق أخذا من الفلسفة · اما البابية فقد عالجتها باعتبارها الأساس الذى أفرز لنا تلك البدعة التى لفتت الانظار بقوة فى القرن العشرين ونفى بها البهائية · وما أكثر ما كتب عن البهائية وما أشد تنوع تلك الكتابات · كتب عنها المستشرقون بالطبع ، وبعضهم عايش نشأتها وبعضهم عايش تطورها · وكتب عنها أهلها فجاءت كتاباتهم عجيبة مثيرة تكشف للقارىء عن مدى قدرة البعض على خداع عقول الآخرين · وكتب عنها الذين ادعوا اعتناق البهائية حتى يقفوا على مكنونها ليفضحوا أمرها فيما بعد · وكتب عنها اعداؤها بلهجة هجومية متشنجة أو ساخرة جارحة لا فائدة منها · فما زال سلاح الحقيقة فى رأى هو أمضى سلاح ، أما الهجوم الغير بصير فلا طائل منه ويسهل رده · وكتب عنها البعض فى غفلة من حقيقتها وقد يذهل القارىء اذا ما وقف على أسماء بعض هؤلاء الغافلين · ودراستى هذه محاولة لكشف الأساس التلفيقى الهزيل الذى قامت عليه البهائية ، وتخبط المفاهيم وتضاربها فى بنائها الهش ، وضآلة الجهد الذى بذله صاحبها لصياغتها · وللقارىء أن يسأل · اذا كان الأمر كذلك فكيف حقق هذا المذهب نجاحا ؟ ولنا أن نجيب بأن البيئة التى نبتت فيها البابئية كانت غارقة فى الجهل والظلم ، فلما جاء بهاء الله ملوحا بأمل كاذب فى الخلاص بهر به البعض دون تمحيص ··· وهل كان هناك بديل لذلك ؟ وبفضل الاساطير التى نسجها الاتباع حول شخصية بهاء الله وبفضل جهود ابنه عباس وحفيده شوقى بعد هذا لتهذيب هذا المذهب ، وبفضل تشجيع بعض القوى له وعلى رأسها اسرائيل عرفت البهائية بعض الرواج · والتصدى للبهائية لن يكون أبدا بمهاجمتها بلهجة طنانة انما يكشف حقيقتها ·

أما بعد فقد وضعت هذه الدراسة فى بادىء الأمر فى شكل مقالات من أجل عمل موسوعى لم يكتب له أن يرى النور ، ومنذ ذلك الحين وأنا معنية بفرق الشيعة المختلفة ، وبمواصلة قراءاتى عنها · وعندما رجعت لهذه المقالات ادخلت عليها العديد من التعديلات اما بسبب قراءاتى

الجديدة وأما لتغيير طرأ على منهجى وعلى نظرتى ، الا انه تعـذر على تغيير شـكل التوثيق الذى التزمت به فى بادىء الأمر ، ولذا فانا أقـدم عذرى عن ذلك · وكل ما أرجوه أن أكون قـد ساهمت بجهـد ولو ضئيل فى مجـال دراسة الفـرق الشـيعية التى ما تزال لم تلق ما تسـتحقه من اهتمام · وعلى الله قصد السبيل ؟

زينب الخضـيرى

الفصل الأول

الشيعة الامامية

اولا : نظرة عامة عليها :

١ ـ نظرة تحليلية لنشاة التشيع وتاريخه :

يجدر بنا قبل الحديث عن الشيعة الامامية ان نعرض للتشيع بشكل عام ۰ تستخدم كلمة الشيعة فى اللغة العربية للاشارة الى صحب او انصار شخص ما ۰ ويعتمد الشيعة ، فى محاولتهم لرد التشيع الى زمن الرسول ـ كما جاء فى لسان العرب ـ على ان عددا من المسلمين لازموا على بن أبى طالب فى حياة النبى وجعلوه اماما مبلغا عن الرسول وشارحا مفسرا لتعاليمه ، فصاروا يعرفون بشيعة على ۰ والشيعى فى نظر الشيعة ليس من يحب عليا ولا يبغضه فحسب ـ والا انطبق هذا اللفظ على اكثر المسلمين ـ بل هو من يقتدى بعلى ويتبعه ويلتزم بهذا الموقف طوال الوقت ۰ اما الشيعة الامامية فهم فرق الشيعة التى تتمسك بسلسلة معينة من الأئمة من نسل على وان اختلفت فيما بينها فى تحديد هؤلاء الائمة وفى عددهم ۰ وفى البدء كان يطلق على الشيعة اسم العلويين ثم اختفى هذا اللقب لفترة طويلة ليعود للظهور مرة اخرى فى ايامنا هذه ۰

والدراسة التحليلية النقدية لتاريخ الشيعة تثبت انه على اثر مقتل عثمان بن عفان انقسم المسلمون الى حزبين : حزب على وحزب معاوية ابن أبى سفيان ۰ والحزب يطلق على اعضائه فى لغتنا العربية اسم الشيعة فكانت شيعة على فى مقابل شيعة معاوية ۰ وبتولى معاوية الخلافة اصبح استعمال هذا اللفظ مقصورا على اتباع على بن أبى طالب الذين لم يختاروه زعيما فى بداية الأمر لأنه ابن عم الرسول وصهره وأبو احفاده ـ اذ أن حق الأقربين فى وراثة الرياسة وكانها ملك خاص لم يكن معترفا به بعد عند العرب فى ظل الاسلام ـ وانما اختاروه لأنه بدا لهم افضل صحابة الرسول الأوائل ۰ الا أن تطور الاحداث التاريخية حول موقف هؤلاء

الشيعة فلم يعدوا يكتفون فحسب بتأييد حق على فى الخلافة بل اصبحوا يتمسكون بأن يكون هذا الحق لمن هم من نسله من بعده مما جعلهم يعتبرون كل من الأسرة الأموية والعباسية مغتصبتين لهذا الحق .

ويجتهد الشيعة فى اثبات حق على فى خلافة رسول الله اعتمادا على تأويلات خاصة لبعض الآيات القرآنية ولبعض الأحاديث النبوية . ومن هذه الآيات : « انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون » (الآية ٥٥ من سورة المائدة) . ويزعم الشيعة ان المقصود بها على وانها نزلت حين اعطى على السائل خاتمه وهو راكع فى الصلاة . ومن أهم الأحاديث النبوية التى يعدونها نصا على خلافة على للنبى صلى الله عليه وسلم الحديث المعروف بحديث غدير خم الذى اشار فيه الرسول الى على بقوله « ومن كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله » . وثمة حديث ذكر فى كتاب المغازى من صحيح البخارى ، وفى فضائل الصحابة من صحيح مسلم ونصه « الا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى الا انه ليس نبى بعدى » وهو موجه لعلى وللحديث رواية اخرى « أنت منى بمنزلة هارون من موسى ، الا انه لا نبى بعدى » . واذا كان هذان الحديثان وغيرهما دليلين على نص الرسول على خلافة على له من وجهة نظر الشيعة ، فللسنة أن تبرز من الاحاديث الصحيحة ما يمكن تأوله بما يدل على استخلاف الرسول اما لأبى بكر أو لعمر بن الخطاب . جاء فى كتاب فضائل الصحابة من صحيح البخارى عن أبى سلمة عن أبى هريرة « لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى اسرائيل رجال يتكلمون من غير ان يكونوا انبياء ، فان يكن فى أمتى منهم احد فعمر » . وجاء فى مسند احمد عن الزهرى عن عروة بن الزبير عن عائشة ان الرسول قال لها وهو فى مرضه : « ادعى لى ابا بكر واخاك حتى اكتب كتابا فانى اخاف أن يتمنى متمن ويقول : انا اولى ويأبى الله والمؤمنون الا ابا بكر » . وأهل البيت انفسهم يرفضون فكرة ان الرسول نص على خلافة على له ، فلقد نقل الحافظ بن عساكر عن الحافظ البيهقى حديث فضيل بن مرزوق ان الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب سئل فقيل له : « ألم يقل رسول الله صلى الله وسلم « من كنت مولاه فعلى مولاه » ، فقال

« بلى ، ولكن والله لم يعن رســول الله صلى الله عليه وسلم بذلك الامارة والسلطان ، ولو اراد ذلك لأفصح لهم به ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افصح للمسلمين · ولو كان الأمر كما قيل لقال : يا أيها الناس هذا ولى امركم والقائم عليكم من بعــدى ، فاسمعوا له واطيعوا · والله لئن كان الله ورسوله اختار عليا لهذا الامر وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك على امــر الله ورسوله ، لكان على اول من ترك امــر الله ورسوله » · ورواه البيهقى من طرق متعددة فى بعضها زيادة وفى بعضها نقصان وان كان المعنى واحــد · بل ان عليــا نفسه اكد أن الرســول لم يستخلفه ! روى الامام احمد فى مسند عن وكيع عن الأعمش عن سالم ابن ابى الجعد عن عبد الله بن سبع قال « سمعت عليا يقول (وذكر أنه سيقتل) قالوا : فاستخلف علينا · قال : لا ولــكن اترككم الى ما ترككم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم · قالوا : فما تقول لربك اذا أتيته ؟ قال : أقول : اللهم تركتنى فيهم ما بدا لك ، ثم قبضتنى اليك وانت فيهم ، فان شئت أصلحتهم ، وان شئت أفسدتهم » · ونقل الحافظ بن كثير فى البداية والنهاية عن الامام البيهقى من حديث حصين بن عبد الرحمن عن الامام الشعبى عن ابى وائل شقيق ابن سلمة الأسدى احد سادة التابعين انه قيل لعلى : الا تستخلف علينا ؟ قال : « ما استخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستخلف ، ولكن ان يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدى على خيرهم ، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم » · وهذا الحديث جيــد الاســـناد ·

ويزعم الشيعة أن النبى كان أول من اطلق لفظة الشــيعة على من احب عليا وتابعه ، وهم يستندون لاثبات ذلك الى ما جاء فى مؤلفــات السنة مثل « الدر المنثور » للسيوطى الذى جاء فيه أن النبى قال « ان هذا ــ واشار الى على ــ وشيعته لهم فائزون يوم القيامة » ، وكتاب « النهاية » لابن الأثير الذى جاء فيه ان النبى قال « يا على انك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين » · وهم يتأولون هذين الحديثين بأن الرسول دعا الى التشيع لعلى تماما كما دعا الى شــهادة أن لا اله الا الله وان محمد رسول الله ! ومن الجلى انه هذه المحاولة الجريئة من جانب الشيعة لارجاع بداية التشيع الى عهد الرسول بل لارجاع الدعــوة للتشيع الى

الرسول ذاته ، ما هي الا محاولة لنقض دعوى خصومهم القائمة على رد معتقدات الشيعة الى اصول اجنبية ٠

وثمة رأى ثان او نظرية ثانية فى اصل التشيع ـ وهى اخطر ما يواجهه الشيعة ـ تذهب الى أن عبد الله بن سبأ كان أول من دعا الى التشيع لعلى ٠ وعبد الله بن سبأ هذا أو ابن الأسود يقال عنه أنه كان يهوديا ظهر فى عهد عثمان وكان أول من دس فى الاسلام مفهوم الوراثة الروحية أو الوصاية بحجة أن لكل نبى وصيا وأن عليا هو وصى محمد ، بل ذهب الى حد تقديس على وتأليهه ٠ وكان يقول له « أنت أنت » يعنى «أنت الله» ٠ ويذهب بعض الباحثين المسلمين الى أن ابن سبأ كان يريد بهذه الدعوة هدم وحدة العالم الاسلامى والاساءة الى الاسلام ، وان التشيع برمته خروج على العقيدة الاسلامية ٠ ويحرص علماء الشيعة الامامية بالطبع على ابعاد هذه الشبهة عنهم ولذا يهاجمون بقسوة ابن سبأ وكل فرق الغلاة التى ذهبت مذهبه من حيث تقديس على ، بل يذهبون الى حد التشكيك فى وجوده أصلا ، ويعتبرونه شخصية خرافية ابتدعها خيال أعداء الشيعة ٠ وانصافا للحق نقول ان بعض العلماء المحدثين الغربيين مثل فلهاوزن وفريدليندر وبرنارد لويس يذهبون الى نفس الرأى وان كان تعاطف هؤلاء مع الشيعة امرا واضحا ٠

اما النظرية الثالثة فترجع بدء التشيع الى اول خلاف حول المبادىء الاسلامية ونعنى به ذلك الذى ظهر اثناء التحكيم ٠ كان الخوارج هم أول من اثار مشكلة الامامة فكان لابد لأنصار على من مواجهة الخوارج لا من حيث هم قوة سياسية فحسب ، بل من حيث هم ممثلون لعقيدة سياسية ٠ اراد الخوارج للامامة ان تكون قضية عامة بالنسبة للمسلمين كافة ، واراد لها الشيعة ان تكون محصورة فى آل البيت فحسب ، أو بمعنى أدق فى نسل على بن أبى طالب وفاطمة بنت الرسول ٠

وأما النظرية الرابعة فى مسألة أصل التشيع فترجعه الى أصل فارسى، اذ اعتنق بعض الفرس فى رأيهم الاسلام وفى نيتهم العمل ضده بخلقهم مشاكل للحكومة الاسلامية ، وبثهم فى الاسلام احلام وآمال مذهب زرادشت ٠ وعلى رأس القائلين بهذه النظرية البارون كارا دى ڤو ودوزى٠

ويعترض الشيعة على هذه النظرية بأنه وإن كان صحيح أن اراء الشيعة كانت تلائم الفرس فان هذا لا يعنى انها انبعثت منهم اذ تجمع الروايات التاريخية على أن التشيع الواضح الصريح وجد أولا فى الدوائر العربيه ثم انتقل منها الى الموالى ٠ وحتى السبائية وهم علاة الشيعة فلم يكونوا من الموالى بل عربا من عشائر نهد وثور وسام كما جاء عند الطبرى ويؤيد فلهاوزن رأى الشيعة هذا ٠ سواء صح الرأى الأول أو صح الثانى فالشيء اليقينى هو ان الفرس رحبوا بشكل المعارضة التى كان يرتكز عليها التشيع ولهذا تحالفوا مع هذا الشكل من الفكر الاسلامى واستطاعوا أن يؤثروا بشكل ما على تطوره بعد ذلك بواسطة تراثهم القديم الخاص بتأليه الحكام ٠ ولقد رحب الفرس فى رأينا بهذا الشكل من الفكر الاسلامى لأنهم كانوا يأملون بانضمامهم لصفوف على استعادة سيادة جنسهم على بقية أنحاء الدولة الاسلامية عندما تصبح الكوفة كما كانت فى عصر على هى عاصمة الدولة الاسلامية ٠ ومعنى هذا أن تشيعهم كان فى بادىء الأمر لأسباب سياسية ثم اكتسى بسرعة بطابع دينى ليكون أعمق أثرا فى النفوس ٠ غير أن التشيع كعقيدة لها أراؤها الكلامية لم يتبلور الا بعد أن توالت أحداث الامة كمقتل على فى ٢١ رمضان عام ٤٠هـ ، وكفاجعة كربلاء التى قتل فيها الحسين وعدد كبير من آل البيت فى يوم عشوراء اى فى العاشر من محرم عام ٦١هـ ، بل ربما بعد هذه الاحداث بعشرات الأعوام ٠

واذا كانت هذه هى المحاولات الأربع للوقوف على أسباب التشيع فقد حاول الدكتور أحمد صبحى فى دراسته عن الزيدية تجاوز تلك المحاولات ليقف على الأسباب الحقيقية الباطنية الكامنة وراء التشيع ٠ ونجح فى أن يتبين عدة أسباب أولها الخلل الاقتصادى الذى أراد على اصلاحه ٠ لقد أراد على أن يفرض على الناس المساواة التى تحققت فى زمن الرسول وشوهها من بعده البعض بتهافتهم على جمع الثروات ، وبسعيهم للحياة المترفة على حساب الآخرين ٠ وبالفعل قام على بعدة اجراءات فى سبيل تحقيق هذا الهدف الاقتصادى – الاجتماعى لتستقيم الحياة فى المجتمع الاسلامى ٠ ولا بد أن أصحاب هذه الطبقة المستغلة التى ابتعدت عن روح المساواة الاسلامية استاؤا من هذه السياسة ولابد

انهم حاولوا التحريض ضد صاحبها ٠ ولا بد كذلك أن ثمة من ناصر عليا فى خطواته هذه وتشيع له ٠ وثانى أسباب التشيع هو أن عليا أراد أن يعدل الهرم الاجتماعى المقلوب ذلك الهرم الذى كان على قمته بنو أمية وكان فى سفحه الأنصار والشعوب المغلوبة ٠ أما ثالث هذه الأسباب فهو ان عليا أراد أن يقوم الوضع السياسى المختل الذى أوجده عثمان بمجاملته للولاة من اقاربة ٠ ورابع هذه الأسباب هو انه تمسك بمجموعة من القيم لم يشاركه فى الايمان بها فى حياته الا قلة نادرة ، وبسبب هذه المثالية أخفق على سياسيا ولكن استشهاده أضفى عليه هالة من التقديس، وخامس هذه الأسباب موعظمة شخصية على التى كانت تجسد مجموعة نادرة من القيم التى كلما اجتمعت فى شخص واحد ٠ كان التشيع اذن نتاج لظروف سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية بعينها ٠

ولو تتبعنا تاريخ التشيع لتبينا ان العلويين ظلوا مضطهدين طوال حكم الدولتين الأموية والعباسية مما دعاهم الى تكوين تنظيمات سرية تعقبتها السلطة دائما اذ كان القضاء على العلويين هو هم الحكام الذين رأوا فى دعوة هؤلاء السرية ـ الثورية ما يهدد أمن الدولة ٠ وفى عصر العباسيين كان التنكيل بالعلويين أعنف لأن الدعوة العلوية هى التى سمحت لهم بالقضاء على الأمويين فى منتصف القرن الثامن الميلادى وباقامة دولتهم ٠ وبالرغم من كل هذا الاضطهاد المستمر لم تضعف عقيدة الشيعة ولم يخبو الأمل فى الاستيلاء على الحكم بل نجح الشيعة فى تأسيس عدة دول عبر التاريخ مثل دولة الادارسة فى المغرب ، ودولة العلويين فى الديلم ، والبويهيين فى العراق ، والحمدانيين فى سوريا ، والفاطميين فى مصر ، والدولة الصفوية فى ايران ٠ وبعض هذه الدول عملت على ازدهار الحضارة فى ظلها كما فعلت الدولة الفاطمية التى بنت المدن وعلى رأسها القاهرة ، وشيدت دور العلم وعلى رأسها بالطبع الجامع الأزهر الشريف الذى يعد بحق أعظم المؤسسات العلمية فى الاسلام ، كما بنوا المساجد والقاهرة مليئة بعدد منها ٠

وما زالت بعض الدول الشيعية موجودة حتى الآن ومنها ايران والعراق ، فكيف استمر التشيع فى اليوم بالرغم من تلاشى أسباب وجوده

منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا ؟ كان هذا هو السؤال الجـديد الذى طرحه الدكتور أحمد محمود صبحى فى دراسته عن الزيدية · تساءل : ما هى الأسباب الحقيقية وراء استمرار الخلاف حول الخلافة ؟ وانتهى الى أن المشكلة فى حقيقة أمرها لا تتعلق بأشخاص على وأبى بكر وعمر ومعاوية ، والا لسقطت من تلقـاء نفسها عقب وفاة هؤلاء ، انمـا لابد وأنها أعمق بكثير · وهى كذلك بالفعل ، فهى تتعلق بخلاف حول المبادىء ، أو بلغـة العصر هى تتعلق بخلاف ايديولوجى يدور حول أصلح نظم الحكم : هل هو نظام الامامية الروحية أو بلغة العصر نظام الحكم الثيوقراطى ، أم هو نظام الخلافة الزمنية السياسية الانسانية القائمة على الشورى والأخذ بالرأى وفتح باب الاجتهاد ، أو بلغة العصر النظام الديمقراطى ؟

وقبل أن نعرض لأنواع فرق الشـيعة الامامية نقول ان الفـرق فى الاسلام سواء اكانت شيعية أم غيرها هى تلك المذاهب التى تخالف المذهب السنى · وبالنسبة لفرق الشيعة فقد اتضح مما سبق ان الخـلاف بينها وبين السنة نشأ لأسباب سياسية ، ولكن سرعان ما اصطبغ هذا الخلاف بالصيغة الدينية ، وهذا ما يحـدث عادة فى المجتمعات التى تقـوم على أساس دينى · وقد مرت العقيدة الشيعية بمرحلتين ، الأولى كانت مرحلة تسليم الجميع بها دون خلاف أو نزاع ، أما الثانية فهى مرحلة الانقسامات والخلافات بين المؤمنين بها ، تلك الخلافات التى بدأت بأستشهاد الحسين ابن على بن أبى طالب · وبوجه عام يمكننا القول ان الشيعة انقسمت الى أربعة فرق رئيسية : الكيسانية والامامية والزيدية والغلاة · وانقسمت كل فرقة من هذه بدورها الى فرق يختلف المؤرخون فى عددها · والامامية وهى الفرقة التى تعنينا هى القائلة بامامة على بعد النبى وبأن الامامة بعد على كان لابد وأن تكون فى ذريته من فاطمة وبأنها بالنص · وقـد أطلق عليها لقب الامامية لاشتراطها معرفة الامام وتعينه ·

وانقسمت الشيعة الاماميـة عبر تاريخهـا الى خمس عشرة فرقة أشـهرها الأثنى عشرية والاسماعيلية اللتين اختلفتا بصدد الامام الذى يجب أن يخلف الامام جعفر الصادق عند وفاته عام ١٤٧هـ · أما الاثنـا عشرية ، وكانت تمثل فرقة الأكثرية فرأت أن تكون الامامة لموسى الكاظم ابن جعفر الصادق وسلسلت الامامة بعد ذلك فى الأكبر سنا من عقبة الى

الامام الثاني عشر وهو محمد بن الحسن الذى دخل سردابا فى سامراء واختفى فيه حوالى عام ٢٦٠هـ ، وهو الذى يدعون انه سيخرج منه كمهدى منتظر . وأما الاسـماعيلية فهى التى قالت بامامة اسماعيل بن جعفـر الصادق بالرغم من وفاته فى حياة أبيه ، وبالتالى قالت بامامة عقبة .

أما بقية فرق الشيعة الامامية كما يذكرها المؤرخون فقـد اندثرت تماما ولم يبق منها الا الفرقتان اللتان ذكرناهما ونعنى بهما الاثنى عشرية والاسماعيلية . والفرق المندثرة هى فرقة الكاملية التى تكونت من اتباع أبى كامل الذى زعم أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة على الذى كان عليه قتالهم ولذا لم يعذره عن القعود ؛ وفـرقة المحمدية التى تنتظر محمد بن عبد الله بن الحسن ابن الحسين بن على بن ابى طالب اذ لا تصـدق قتله أو موته وتذهب الى انه سيخرج يوما من جبل حاجز ناحية نجـد ، وهو المهدى المنتظر لأن اسمه محمد كاسم رسـول الله واسم أبيه هو عبد الله كاسم أبى رسول الله . وفرقة البـاقرية التى ساقت الامامة من على بن أبى طالب الى محمد بن على المعروف بالباقر ، وذهبت الى أن عليـا نص على امامة ابنه الحسن الذى نص بدوره على امامة اخيه الحسين الذى نص على على زين العابدين ، الذى نص على محمد المعروف بالباقر وهو فى رأيها المهدى المنتظر . ومن الفرق المندثرة كذلك فرقة الموسوية وهى التى ساقت الامامة بعد جعفر الصادق الى ابنه موسى بن جعفر وزعمت أن هذا الأخير حى لم يمت وانه هو المهدى المنتظر اذ دخـل دار الرشيد ولم يخرج منها ! والغريب أن هذه الفـرقة كانت تتمسك بكون موسى بن جعفر لم يمت بالرغم من وجود قبره فى الجانب الغربى من بغداد ، وهو ذلك القبر الذى يزار الى اليوم ! . أما فـرقة المباركية . فهى التى تقصر الامامة على عقب محمد بن اسماعيل . والعجيب أن أصحاب الأنساب ذكروا فى كتبهم أن محمد بن اسـماعيل هـذا مات ولم يعقب . والفرقة الهاشـمية وهى تنقسم الى فرقتين ، فـرقة تنسب الى هشام بن الحـكم الرافضى ، والثانية تنسب الى هشام بن سالم الجواليقى ، والفرقتان تقولان بالتجسيم وبالتشبيه وتنكران علم الله المسبق بأفعال العباد لأنه فى رأيهما لا يصح القول عندئذ باختيار العباد لأفعالهم ولا بتكليفهم ؛ والقرآن عند هاتين الفرقتين لا هو خالق ولا هو مخلوق . ومن الفـرق المندثرة كذلك

الفـرقة الزرارية نسبة الى زرارة بن أعين وبدعتـه أن الله لم يكن حيـا ولا كان قادرا ولا سميعا ولا بصيرا ولا عالما ولا مريدا حتى خلق لنفسه حياة وقدرة وعلما وارادة وسمعا وبصرا · وهناك أيضا فرقة اليونسية نسبة الى يونس بن عبد الرحمن القمى الذى أفرط فى التشبية · والفرقة الشيطانية نسبة الى محمد بن النعمـان الرافضى الملقب بشـيطان الطاق والذى كان من أكبر دعاة الشيعة فى زمن الامامين زيد وابن أخيه جعفر الصادق ، وهـو صاحب تلك البـدعة التى أصبحت من عقائد الشـيعة الأساسية ونعنى بها أن الامامة معهـود بها الى أشـخاص بأعينهم · والفرقة الشميطية نسـبة الى يحيى بن أبى شـميط التى رأت أن الامامة بعد جعفـر الصادق كانت من حـق ابنه محمد · وهنـاك أيضا الفـرقة الناوسية التى اختلف فى نسبها المؤرخون فمنهم من ينسبها الى عجـلان ابن ناوس ومنهم من ينسبها الى قرية ناوسا التى ذهبت الى أن الصادق لم يمت وأنه هو القائم المنتظر · وهناك أخيرا الفرقة العمارية ·

ويمكننا القول أن الخلاف بين فرق الشيعة الامامية انحصر أساسا فى الخلاف فى عدد الائمة وفى تعيين اسمائهم وأشخاصهم وان اتفقت جميعها على أن الامام يعين بالنص لا بالانتخاب · وأهم هـذه الفـرق كما سبق أن قلنا والتى مازالت باقية حتى الآن هى كل من الأثنى عشرية والاسماعيلية · ولضخامة عـدد الاثنى عشرية أكد المؤرخون القـدامى وعلى رأسهم ابن خلدون ، وهو ما يمكننا تأكيده اليوم كذلك ، أن اسم الشيعة الامامية يعنى به أحيانا الاثنى عشرية دون غيرهم من الفـرق · ولقد بدأ الخلاف بين الاثنى عشرية والاسماعيلية ــ كما سبق أن بيننا ــ على أثر وفاة جعفر الصادق حول الامام الذى يخلفه · وسرعان ما تحول هذا الخلاف الى خـلاف عقائدى نتيجة لتأثر الاسماعيلية بعقائد فارسية لا سـيما المزدكية ونتيجة لأخـذها بمفاهيم يمـكن وصفها بالاشتراكية ولاقتباسها لكثير من مفـاهيم الفلسـفة اليـونانية ولا سـيما الفلسـفة الفيثاغورية والافلاطونية والافلوطينية ·

ونرى البـدء بدراسة المفـاهيم المختلفة التى تكونت منها العقيدة الامامية ، على أن تكون هـذه الدراسة تحليلية وتاريخيـة معـا ، فاذا

ما انتهينا من ذلك عنينا بدراسة مفاهيم كل من الاثنى عشرية والاسماعيلية مبرزين الفوارق بينهما ، فان ذلك من شأنه توضيح أثر كل العوامل التاريخية وفى مقدمتها العامل السياسى التى ساهمت فى تكوين عقيدة كل منهما ٠

٢ – مفهوم الامامية عند الشيعة الامامية :

امتزجت العقيدة عند الامامية بالسياسة وبالفلسفة معا خاصة فيما يتعلق بمسالة الامامية والخلافة والملك ، ولذا يمكننا القول ان لهم فيها نظرية متكاملة وأضحة العناصر ٠ ان الاسلام يأخذ بكون الخلافة حق لمن يختاره المسلمون الا أن مقتل على وولديه من بعده جعل الشيعة يخرجون على هذه العقيدة وجعلهم يقولون بعكسها ، أى بأن الخلافة حق بالوراثة لآل على وجعلوا منها عقيدة دينية ، بل اصبحوا ينظرون للخلفاء الراشدين الثلاثة الأول ولكل الخلفاء بعد على على انهم خلفاء غير شرعيين للنبى ٠ وأصبح على وذريته فى رأيهم هم الحكام الشرعيين وهم وحدهم أئمة المسلمين ٠ وهكذا أصبحت عقيدة الامامة هى حجر الزاوية فى عقيدة الشيعة وهى الأساس الذى تختلف فيه عن الاسلام السنى ٠ وأصبح لفظ الامام لدى مفكرى الاسلام السنيين منهم والشيعة على حد السواء يعنى الحق الشرعى ، بينما أصبح لفظ الخليفة يشير الى صاحب السلطة الفعلية ٠ ولفهم نظرية الشيعة فى الامامة لابد من الوقوف على الفارق بين مفهوم السلطة الدينية للخليفة عند السنة ومفهوم السلطة الدينية الشرعية للامام عند الشيعة ٠ ان الاسلام يعتبر الخليفة موجودا لضمان تحقيق الواجبات والحقوق الاسلامية ، أى انه باختصار يمثل السلطة القضائية والسلطة الادارية والسلطة التشريعية للدولة معا ٠ وهو يخلف من سبقه أى يتولى منصبه اما بالاختيار من قبل المسلمين واما نتيجة لتحديد من قبل سابقة وهو ما كان يحدث عند ما أصبحت الدولة الاسلامية تتبع النظام الملكى الوراثى منذ قيام الدولة الأموية على اثر مقتل على بن أبى طالب ٠ أما عند الشيعة فالامام على العكس هو – بفضل مجموعة من الصفات التى من الله عليه بها – حامى الاسلام وأعظم علمائه وهو وريث رسالة النبى ولذا فهو يحكم ويعلم باسم الله ٠ وهو عندهم أعلى مرتبة من كافة البشر بفضل صفاته الفائقة للطبيعة البشرية ٠

فالشيعة يؤمنون بأن عنصرا نورانيا والهيا انتقل من آدم الى بنى ذريته المختارين من قبل الله الى ان حل فى عبد المطلب جد كل من محمد رسول الله وعلى بن أبى طالب ، ثم انقسم هذا القبس الذى ذهب بعضه الى عبد الله والد محمد وذهب بعضه الآخر الى أبى طالب والد على ، ثم انتقل هذا القبس النورانى الى ذرية على بن طالب زوج فاطمة ابنة الرسول وهى الوحيدة من أبنائه التى أنجبت ، انتقل من امام الى آخر فى هذه الذرية . وهذا القبس أو هذه النفحة الالهية هى التى تجعل من كل امام من هؤلاء اماما لعصره ، وتمنحه قوة روحية عظمى تجعل منه أعلى مستوى من سائر البشر اذ أن نفسه أكثر نقاءا عن سائر النفوس .

واذا كانت أركان الاسلام السنى أربعة هى التوحيد والنبوة والمعاد والعمل بالفروض الخمسة فقد أضافت الشيعة الامامية ركنا خامسا لهذه الاركان وهو الاعتقاد بأن الامامة اختيار الهى تماما كالنبوة . فكما يختار الله من يشاء من عبادة للنبوة والرسالة ويؤيدها بالمعجزة التى هى بمثابة نص الله عليه ، كذلك يختار للامامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص علية كامام للناس من بعده للقيام بالوظائف التى كان النبى يقوم بها فى حياته . والفارق بين النبى والامام يتمثل فى أن الامام لا يوحى اليه كالنبى ، انما هو يتلقى الأحكام من النبى . فالنبى مبلغ عن الله والامام مبلغ عن النبى . الامامة عند الشيعة اذن منصب الهى ولذا يمكننا القول ان الشيعة أدخلوا النظام الثيوقراطى فى الاسلام وفى حضارته العربية . وكان هذا النظام الذى يقدس الحكام ويعتبرهم أنصاف آلهة معروفا فى العصور القديمة فى كل الدول الكبرى القديمة مثل الدولة المصرية الفرعونية والدولة البابلية والدولة اليونانية والرومانية . وبالرغم من أن القرآن أكد بشرية محمد بما جاء فيه « وما أنا الا بشر مثلكم » وأكد بذلك من باب أولى بشرية كل من يخلفه فقد دس الشيعة هذا المفهوم الغريب على روح الاسلام بل وعلى العقلية العربية . وكان أول الائمة عند كافة الشيعة هو بالطبع على بن أبى طالب الذى أمر الله نبيه فيما يزعمون بأن ينص عليه ليكون خليفة للمسلمين واماما لهم من بعده . ويذهب الامامية الى حد الاعتقاد بان الرسول كان يخشى أن يثقل على الناس بنصه على على ويخشى أن يتهم بمحاباته لابن عمه وصهره ولكن الله أوحى اليه

« يا أيها النبى بلغ ما انزل عليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » ، وهم يتأولون هذه الآية بما يخدم عقيدتهم متجاوزين دلالتها الحقيقية ·

وعند الشيعة الامامية أن الامامة ليست قضية مصلحية ، أى أنها ليست من المصالح العامة التى يفوض بشأنها للأمة ، أى أن الأمة ليس من حقها اختيار الامام ، انما الامامة عندهم قضية أصولية أى هى ركن من اركان الدين كما سبق أن ذكرنا ، وقاعدة من قواعده لا يجوز للنبى اغفالها او تفويضها للأمة بل يجب عليه النص على الامام · الامام اذن يحكم بارادة الله لا بارادة الناس ، ونصبه واجب على الله عقلا لحفظ قوانين الشرع ورفع الفساد واقامة الحدود · وهذا يمثل خلافا أساسيا بين الشيعة الامامية وبين اهل السنة الذين يقولون بوجوب الامامة سمعا ولا ينكرون وجوبها عقلا وإن كان الدليل السمعى عندهم سابقا على الدليل العقلى · وللشيعة ادلتهم على القول بالوجوب العقلى فى هذا المقام ، وهى أدلة تتفق مع مفهوم الامامة لديهم ومع قدر السلطات التى منحوها للامام · ومن أدلتهم على أن الامام يحكم باسم الله لا باسم الشعب ، وعلى أن طاعته واجبه ما جاء فى القرآن من أن « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر » و « وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة » · وغيرها من الآيات التى يتأولونها تأويلا يتفق وعقيدتهم · ومن أدلتهم على أن الأكثرية غير معصومة من الخطأ ، ولذا قد تختار شخصا لا تتوافر فيه صفات الامام من علم وخلق فتعم الفوضى والفساد ، ما جاء فى القرآن من آيات عديدة من قبيل « وأكثرهم لا يعقلون » (الآية ١٠٣ من سورة المائدة) · وتذهب الامامية الى أن وجود كتاب الله لا يكفى وحده لدفع الفساد اذ لابد من امام عالم بما فيه يفسره فيحول دون اختلاف الفرق فى تفسيره ، ذلك أن آيات القرآن مجملة ، وأكثر الأحكام غير واضحة فى ظاهر القرآن فلا بد من وجود مفسر من قبل الله ليستنبط الأحكام منه · الامامة اذن لها فائدتها للناس ولذا يجب الا يحرمون منها ، وبذلك يكون نصب الامام لطفا من قبل الله ، وكل لطف فى رأيهم واجب على الله ! وفكرة اللطف هذه مما أخذه الامامية من المعتزلة · الامامة اذن عند الشيعة هى النتيجة الحتمية للعدالة الالهية ، فالله لا يحرم أى جيل من ارشاد الامام ،

ناقص من اصل الناشر

ناقص من اصل المصدر

أمته علما بوصيته تحاشيا للفرقة والانقسام · فكرة الوصية هذه تمثل تأثيرا فارسيا آخر فى الفكر السياسى الشيعى · فالاسلام أصلا يدعو الى الشورة ويحض على اتباعها عند اختيار الامام ، ولذا فلا مناص من ارجاع فكرة الوصية بما تتضمنه من اقرار لمبدأ النص والتعيين الى التقاليد الفارسية فى الحكم ، وان أرجعها البعض الى فكرة الوصاية اليهودية فكما كان يوشع هو وصى موسى يمكنا القول أن الشيعة الامامية اعتبرت على وصى محمد ·

٣ ـ المهدى المنتظر :

لا يكتمل الحديث عن الامامة الا بالحديث عن المهدى المنتظر الذى تختتم به كل فرق الشيعة الامامية سلسلة أئمتها·ويستشهد الاماميه بعدة أحاديث نبوية على صحة فكرة المهدى منها « المهدى منا أهل البيت » و « المهدى من ولد فاطمة » و « لو لم يبق من الدنيا الا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى يملأ الأرض قسطا وعدلا ما ملئت ظلما وجورا » و « لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطىء اسمه اسمى » · ويؤكد الامامية ـ تحديا لأهل السنة ـ أنه لو صح زعم أن فكرة المهدى ما هى الا خرافة وأسطورة لكان السبب الأول والأخير لهذه الأسطورة هو رسول الله ! والمهدى المنتظر عند الاثنى عشرية هو الامام الثانى عشر محمد بن الحسن العسكرى الذى سبق الاشارة اليه ، أما عند الاسماعيلية فهو الامام السابع الذى اختفى حوال عام ٧٧٠م ورفض أنصاره الاعتقاد فى موته · وتعتقد كل فرقة من فرق الامامية أن سلسلة أئمتها هى السلسلة الصحيحة وان المهدى المنتظر للانسانية كلها سيظهر كخاتمة لها ، ولذا يتأولون الآيات ويسوقون الأحاديث التى تؤكد صحة دعاواهم ، علاوة على اتفاقهم بصدد الأحاديث التى سبق ذكر بعضها والتى يدللون بها على صحة فكرة المهدى المنتظر على الاطلاق ·

أما الرجعة ، رجعة المهدى المنتظر ، فهى ببساطة ترقب عودة الامام الذى ركن الى الاحتجاب وسما وتعالى على كل القيود والاعتبارات الزمنية · وعودة انسان بعد عدة قرون هى بلا شك معجزة من المعجزات

ولذا فاذا عاد هذا الامام فى وقته الموعود كان هو المهدى المنتظر · وفكرة الرجعة مفهوم أساسى فى نظرية الامامة عند كل فرق الشيعة · وتختلف هذه الفرق فحسب فيما يتعلق بشخص الامام الخفى الذى سيعود لاختلافها أصلا فيما يتعلق بسلسلة الأئمة التى يمثل المهدى المنتظر خاتمها · ومما يذكر أن فكرة الرجعة هذه انطبقت فى البداية على على ذاته اذ انكر عبد الله بن سبأ موت على وآمن برجوعه فى المستقبل فكان أول من وضع بذرة غلاة الشيعة · ويؤكد كثير من العلماء الذين يحاولون تحليل عقيدة المهدى المنتظر تحليلا فكريا أن الرجعة ليست من ابتكار الشيعة ، ولذا فبعض هؤلاء يرجعها الى التراث اليهودى المسيحى ، بينما يرجعها البعض الآخر الى تراث الديانات الشرقية القديمة وخاصة التراث الفارسى · ويؤكد نفر ثالث أنها من قبيل الاساطير التى تقول بها الأمم المختلفة والتى تعبر عن آلامها وعن قوة وصلابة آمالها فى آن واحد · وأصحاب الرأى الأول يذهبون الى أن النبى الياس فى التراث الدينى اليهودى ــ المسيحى قد رفع الى السماء على أن يعود الى الأرض فى نهاية الزمان ليقيم حكم العدل ، وهذه القصة هى التى أوحت فى رأيهم للامامية بفكرة الامام المستتر الذى رفع من الأرض وما يزال يعيش مختفيا والذى سيظهر يوما كمهدى يخلص العالم · بينما يذهب أصحاب الموقف الثانى الى أن ثمة أفكارا شبيهة فى الديانات الشرقية القديمة كالهندوسية والمصرية القديمة والصينية ، والفارسية على وجه التخصيص · ان الكوارث المتتالية التى حلت بالعلويين دفعتهم الى القول لا بنبى مخلص ــ لأن محمدا فى الاسلام هو خاتمة الانبياء ــ وانما الى القول بامام يبدأ معه عهد جديد ، عهد تسوده العدالة والسعادة · وهذه فكرة أصيلة فى التراث الفارسى بالذات ، فالفرس يعتقدون أن ابن زرادشت سيعود فى نهاية الزمان لينتصر للحق وللعدل على الشر والجور · حور الامامية قليلا فى هذه الفكرة واستبدلوا بابن زرادشت اماما من ذرية على ، وهذه محاولة فكرية يقبلها المنطق لأن العقيدة الشيعية وخاصة الامامية الاثنى عشرية نمت وتطورت فى بيئة فارسية · أما أصحاب الموقف الثالث فيضربون العديد من الأمثلة للتدليل على صحة فكرتهم ، فالمغول مثلا يعتقدون أن جنكز خان سيعود بعد ثمانية أو عشرة قرون من وفاته كما وعدهم ، وللألمان أسطورة تذهب الى أن بعضا من الناس

رأوا الامبراطور فردريك بارباروسا بعد أن غرق رأوه حيا فى كهف فى المانيا ، ولذا يدعون انه ما يزال حيا هناك • وفكرة عودة مخلص يخلص الشعوب من آلامها ليبدأ معه عصر جديد تتحقق فيه آمال هذه الشعوب ، انما هى فى جوهرها تعبير عن صلاة هذه الشعوب والأمم ، وتعبير عن تمسكها بالأمل بالرغم من الظروف القاسية التى تحيط بها : الأمل فى الحل وفى الخلاص ؛ وان كانت تركن الى انتظار المعجزة بدلا من محاولتها صنعها • ومما هو جدير بالذكر أن فريقا من أهل السنة يشارك الشيعة الاعتقاد فى المهدى المنتظر بالرغم من العداء التقليدى بين الطرفين • ومن الغريب أن الزيدية وهى من فرق الشيعة تستنكر هذه الفكرة •

كان التشيع الاثنا عشرى هو البيئة الملائمة لنمو بذور الامانى المهدوية كما كان الغموض الذى أحاط بمحمد بن الحسن العسكرى من العوامل الفعالة التى أسهمت فى رسوخ هذه العقيدة لدى الشيعة رسوخا فاق رسوخها عند كل من يؤمن بها سواء فى الاسلام أم فى غيره من الديانات • والنظرة التحليلية لهذا المفهوم تبين انه مفهوم بالغ الدلالة على المنهج الشيعى فى العمل السرى المنظم داخل دولة رافضة ومحاربة لاصحابه • وقبل أن ننهى حديثنا بالنسبة لهذا المفهوم نشير الى أن سلسلة طويلة من مدعى المهدية ظهروا عبر التاريخ ، وكان أشهرهم كل من مؤسس الدولة الفاطمية ودولة الموحدين ، وأحدثهم ميرزا على محمد الذى أطلق على نفسه اسم الباب فى نهاية القرن التاسع عشر فى ايران ، ومحمد المهدى السنوسى بالمغرب العربى فى نفس الفترة ، ومهدى السودان محمد ابن عبد الله الذى توفى عام ١٩٢ ، وأخيرا ذلك الشاب المدعى محمد بن عبد الله الذى ظهر فى السعودية ولم تستمر محاولته الا أياما قليلة مع بداية القرن الخامس عشر الهجرى •

٤ ـ التقية والابداء :

وترتب على حرص الشيعة على تكتم الجهاد وسريته أن كانت دعايتهم هى الأخرى سرية أكثر منها مناضلة مواجهة صريحة • فالتشيع يتميز بنوع من السرية فرضه عليه الحذر ، فكافة الشيعة فى بلد ما معرضون للخطر اذا ما أفشى سرهم « المقدس » • وأدى الشعور بخطر

حقيقة يتربص بهم باستمرار الى تكوين نظرية أخلاقية لديهم تمثل أفضل تمثيل عقليتهم ، وهى نظرية « التقية » ، ومحورها الاحتياط أو الحذر الشيعى الذى يوجب عليهم اخفاء عقيدتهم الحقيقية ٠ فالشيعى اذا ما عاش فى بلد يسيطر عليه الخصوم يتحدث ويتصرف كما لو كان واحدا من هؤلاء الخصوم حتى يحمى نفسه ويحمى اقرانه من الخطر بل ربما من الموت ٠ وكانت استحالة التعبير بصراحة عن حقيقة عقيدتهم هى فى نفس الوقت مدرسة تعلموا فيها الغضب الداخلى ضد الاعداء الأقوياء ٠ وتركز غضبهم هنا فى احساس بكراهية لا يمكن السيطرة عليها وبتعصب كان من نتيجته نظريات دينية عجيبة للغاية ٠ وربما يوضح قولنا هذا اعتبار لعن الخصوم جزءا هاما من عقيدتهم بل أن الامتناع عن ذلك لهو خطيئة حقيقية ٠ فمثلا الشيعة الامامية الاثنا عشرية يصرون على لعنة أبى بكر وعمر بن الخطاب ٠ ويعلل الشيعة قولهم بالتقية تحليلا منطقيا وعمليا فهم عندما يأتون بأقوال وبأفعال تخالف فى ظاهرها حقيقتها فانما يفعلون ذلك لدفع الخطر عن النفس والمال ولحفظ الكرامة اذا كانوا يعيشون جنبا الى جنب مع من يخالفونهم دينا ومن يستطيعون الحاق الضرر بهم ٠ ويؤكد الشيعة الامامية أن التقية فى الحقيقة هى أمر لا ينفردون به وحدهم انما هو ما تحتمه العقول وما طبعت عليه غرائز البشر ٠ فمن هو العاقل الذى يرمى بنفسه فى الخطر عامدا متعمدا لمجرد الاعلان عن الرأى ؟ لقد أجازت الشريعة الاسلامية للمسلم ــ فيما يؤكد الامامية ــ اذا ما خشى على نفسه أو على غرضه ، اخفاء الحق والعمل به سرا فحسب ريثما ينتصر الحق على الباطل ٠ ونظرا للظروف السياسية وللتنكيل بالشيعة من قبل الدولة الأموية ثم الدولة العباسية من بعدها ، اضطرت الشيعة الى كتمان امرها تارة ، والى اعلانه تاره أخرى حسب ما تقتضيه مناصرة الحق ومكافحة الضلال ٠ فأخذ بالتقية الكثير من رجال الشيعة بينما سحقها بعضهم تحت اقدامهم وقدموا انفسهم قربانا للحق ، لأنهم لو كانوا سكتوا أو عملوا بالتقية لضاعت البقية من الحق ، ومن هؤلاء الامام على والامام الحسين وأصحابه الذين وجدوا أن العمل بالتقية لا يناسب الموقف بل هو يضر بقضيتهم ٠

ان التقية ما هى الا صورة من صور المبدأ الذى تتمسك به دائما

ـ فى كل زمان ومكان ـ أية أقليـة مضطهدة عندما تطالب بغير ما تقول به الأغلبية القوية صاحبة السلطة • ولقـد ساعدت التقيـة الشيعة على تبرير شرعية العمل السرى بل وعلى نجاحه فى كثير من الأحيان • وعادة كان الامام يستتر عن الاعداء ليبعد الخطر عنه ، فهـو الامام المستور ، بينما يعمل دعاته الاوفياء سرا على أخذ البيعة له من الاتباع والأنصار ، حتى اذا وأتت الظروف قامت الثورة ، فاذا نجحت ظهر بطلها وهو عندئذ المهدى المنتظر •

والبـداء كذلك من عقـائد الشـيعة الامامية وما هى فى جـوهرها الا جواز النسخ ووقوعه ، أى هى أن الله جـل شأنه أمرا يكتب فى الواح المحو والاثبات ، وربما أطلع عليه بعض الملائكة المقربين أو أحد الأنبياء ، فيخبر هذا أمته ثم يقع بعد ذلك خلافه لان الله ـ جـل شأنه ـ رأى محـوه ليوجد غيره • والله فى هذه الحالة يعرف مسـبقا بالطبع بالتغيير وان لم يطلع احدا على ذلك لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا • والعلم بالتغييرلا يختص به الا الله وحده وهو المعبر عنـه فى القـــرآن فيما يذهب الامامية « بأم الكتاب » • أما اطلاع نبى مرسل على أمر ثم تغييره فهـو ما يشير اليـه القرآن فيما يذهبون فى الآية « يمحو الله ما يشاء ويثبت عنده أم الكتاب » • والبـداء من أسرار آل محمـد وغامض علومهم ، ولهـا حـكمة تعجز عن ادراكها العقول وتقف عندها الالباب • وللتدليل على سلامة عقيدتهم هذه يذهب الامامية الى أن الصلاة كانت فى بدء الاسلام لجهة بيت المقدس ثم أصبحت القبلة هى البيت الحرام • والمشكلة الحقيقية بالنسبة لهذه العقيدة فى رأينا هى أنها قد تعنى تغييرا يحدث فى علم الله ، بينما علم الله منزه عن كل تغيير ، فهو علم قديم قدم صاحبه تمـاما • ولقـد تنبه الامامية لهـذه المشكلة ولذا فهم يحرصون على تأكيد جواز النسخ أو البـداء فى الأمور الشرعية فحسب وعدم جوازه فى الأمـور الـكونية أو الطبيعية • بمعنى آخر لا يجوز القول ـ فيما يذهبـون ـ بأن الله قد يقضى بايجـاد شىء فى الخارج ثم يعدل عنه ويغير من ارادته • ويدعى الامامـيـة أنهم يرفضون مثل هذا البداء ، أى مثل هذا النسخ ، شأنهم فى هذا شأن أهـل السنة ، لأن البداء فى الأمور الكونية أو الطبيعية فهو كفر بالغ • وهل كان بأمكانهم قبول فكرة النقض فى العلم الالهى ؟! ومن قبيل البداء التى يجيزونها زيادة الله لأرزاق العباد ولأعمارهم أو انقاصه لها •

٥ – مقارنة بين الشيعة الامامية والسنة :

بعد أن عرضنا لأهم عقائد الشيعة الامامية يجدر بنا عقد مقارنة بينها وبين عقائد السنة . من المعروف أن الشيعة الامامية وخاصة الأثنى عشرية منهم قـد أخـذوا بكثير من نظريات المعتزلة التى استخدموها أفضـل استخدام . والاعتزال ما يزال حيا فى الأب الشيعى الى يومنا هذا خاصة فيما يتعلق بمسألة وحـدة الله وبالعـدل . وينكر علمـاء الامامية ذلك ، فالتشيع يتنافى فيما يؤكدون والاعتزال ودليلهم على هذا أن الشيعة تقول بالنص بينما لا تقول به المعتزلة .

ومن الأخطاء الشائعة عن الامامية والتى يحرصون هم على دحضها كونهم لا يعترفون بالسنة باعتبارها أحد أساسى العقيدة الاسلامية ، وكونهم يكتفون بالقرآن اساسا لعقيدتهم . ويؤكد الامامية اتفاقهم مع أهل السنة فى الأخـذ بكل من القرآن والسنة ، بل يؤكدون اعتبـار انفسهم الممثلين الحقيقيين للسنة النبوية التى حفظها آل البيت . والخـلاف الوحيـد بين الفريقين فى هذا الصدد فيما يذهبون يتمثل فى اعتماد أهـل السنة على سلطة الصـحابة التى يرفضها الشـيعة . ولا ندرى كيف يعتبر الامامية انفسهم الممثلين الحقيقيين للسنة النبوية لمجرد قرابة على وذريته للرسول محمد ، فالاسلام دين الناس كافة لا فرق فيه بين عربى وأعجمى الا بالتقوى والسنة لا بد أن تكون بالنسبة لكافة المسلمين واحدة من ركنى الهـدى . ورفض الاقتداء بالصحابة وجعل على هو القدوة الوحيد لهو تقييم خاطىء لوضع الصحابة كما أراده الرسول عليه الصلاة والسلام . ويبرز الامامية كونهم يتفقون مع أهل السنة بصدد اغلبية الاحاديث النبوية وان اختلفوا معهم احيانا فيما يتعلق بسلسلة الاسناد . وهـذا صحيح ولكن الصحيح أيضا أن الامامية حرفوا بعض الاحاديث ، وفسروا البعض الآخر بما يخدم قضيتهم . ويؤكد الامامية اتفاقهم مع أهـل السنة فى العقائد الاساسية ، فالفريقان متفقان فى ان الدين هـو الاسلام ، وأن الطريق اليه هـو كتاب الله وسنة نبيه ، وأن الكتاب هو القرآن وان ثمة حسابا وبعثا ، وان اختلفا فى شيء ففى بعض أسـباب النـزول أو فى فهم بعض الآيـات . وتتفق الفريقان على أن معـرفة السنة واجبـة على كل مسـلم وان اختلفا فيما يتعـلق بمعرفة الله . فبينما يذهب الأشـاعرة الى أن هذه المعرفة واجبـة

بالشرع لا بالعقـل ، يذهب الامامية الى عكس ذلك ، أى الى أنها واجبـة بالعقـل لا بالشرع • ويختلف الفريقان فيما يتعـلق بصفات الله فهى عند السنة غير ذاته ، أما عند الامامية فهى عين ذاته • وعند السـنة أن كلام الله قديم وغير مخلوق بينما هو عند الامامية حادث ومخلوق • والانسان عند السنة مسير لا مخير بينما هو عكس ذلك عند الامامية أى هـو مخير لا مسير •

والمسلمون جميعا متفقون فى أن أدلة الاحكام الشرعية منحصرة فى الكتاب والسنة ، وعلى أنها تقوم على العقل والاجماع ، ولا فرق فى هذا بين السنة والامامية ولـكن الامامية يختلفون عن غيرهم من المسـلمين فى بعض الأمور منهـا أنهم لا يأخـذون بالقياس وقـد تواتر عن أئمتهم « أن الشريعة اذا قيست محقت » فالقياس فى نظرهم لا يفيد اليقين لأنه متعلق بالظن فضلا عن عدم نص الـكتاب والسنة على العمـل به ، ولذا حظـروا استعماله فى المسائل الفقهية ، وجعلوا الوحى فـوق كل استدلال عقـلى • والعلم الحق عندهم هو علم الأنبياء والأئمة فهو لا يعتريه الخطأ ولا السهو ولا النسيان ، فهو علم لدنى صادر عن الوحى والالهام • ورد على ما قـد يوجه اليهم من اعتراض يتلخص فى كيفية كون علم الأئمة كذلك بالرغم من انقطاع وحى السماء بانقطاع الوحى الذى هبط على محمد خاتم الأنبياء ، يذهب الاماميـة الى أن علم الأئمـة يختلف عن الوحى فى أنه لا تنزل به الملائكة اليهم ، انما هو علم ورثوه عن علم الرسول محمد عليـه السلام ، وعن علوم سائر الانبياء الأخرين جميعهم • وبذا يكون لديهم علم بجميع الكتب التى نزلت من عند الله وهم يعرفونها على اختلاف لغاتها •

ومن الأمور التى يختلف فيها كذلك الامامية عن بقية فرق الاسـلام أنهم لا يعترفون الا بالاحاديث النبوية التى نقلت عن آل البيت عن جـدهم سيدنا محمد عليه السـلام • بل أن الاثنى عشرية لا يعترفون الا بما رواه الامام الصادق عن أبيه الامام البـاقر عن أبيـه زين العابدين عن أبيـه الحسين السبط عن أبيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب عن رسول الله • أما ما يرويه أمثال أبى هريرة ومروان بن الحـكم وهما أهم نقلة الحديث عند السنة فليس له عندهم أى أعتبار •

ويختلف الامامية عن معظم أهل السنة فى قولهم بان باب الاجتهاد لا يزال مفتوحا مدللين على صحة هذا الموقف بأن باب الاجتهاد كان مفتوحا فى زمن النبـوة بين أصحاب النبى وفى الأزمنـة التاليـة ، بينما يكتفى أهل السنة بمحاولات الاجتهاد التى قام بها الائمة الاربعة منذ القرن الرابع الهجرى وان دعى بعض علمائهم فى العصر الحديث الى فتحه من حـديث بدعوة تجديد علم الـكلام ، وعلى رأس هـؤلاء الشيخ محمد عبد والشيخ المراغى فى مصر ٠ ومسألة الاجتهاد هـذه التى يدعيها الامامية تحتاج الى وقفة فاحصة ٠ ففى رأى أن الشيعة ادعـوا فتح باب الاجتهـاد حتى يتمكنوا من تأويل ما يريدون تأويله بما يخدم عقيدتهم وأهدافهم ، ولكنهم فى حقيقة الأمر رفضوه تماما فيما يتعـلق ببعض الأمـور ٠ فهل يجـرؤ شيعى اليوم فى نهاية القرن العشرين على الاجتهاد فى مسألة الامامية ؟ هل يجرؤ شيعى اليوم على اعادة النظر فى تقدير كل من أبى بكر الصديق وعمر الفاروق ، وفى تقدير دورهما فى الدعوة الاسلامية ذلك الدور الذى لايمكن لأى منصف انكاره ؟ ثم أليس رفضهم للقياس رفضا لأهم أدوات الاجتهاد ؟ ! ألم يرفضوا القيـاس فى حقيقة الأمـر الا حفاظا على بعض المفاهيم التى لا تصمد أمام النظر العقلى الموضوعى ؟ ٠

ـ ومن أهم ما يختلف فيه الامامية مع أهل السنة قولهم بعصمة الانبياء والأئمة ، بينما يقبل أهل السنة جـواز الذنوب على الأنبياء الكبائر منها والصغائر ، وذلك قبل أن يصبحوا أنبياء ، أما بعد النبوة فلا يجوز عليهم الكفر ولا تعمد الكذب ، وان جازت عليهم الصغائر عمدا وسهوا ، والكفر سهوا لا عمدا ، والسنة يدللون على صحة رأيهم هذا بما جاء فى القرآن من أن الرسول ما هو الا بشر ٠ أما الامامية فيقولون بالعصمة سـواء قبل أو بعد النبوة ، بل يقولون بعصمة الأئمة أيضا ٠

أما فيما يتعلق بالجانب الشرعى فان الاختلاف بين السنة والشيعه يكاد لا يفوق حجم الاختلاف بين مذاهب السنة الأربعة ٠ ويمكننا القـول أن أقرب المذاهب السنية الى الشيعة الامامية هو المذهب الشافعى ٠ وربما كان الاختلاف الرئيسى بين السنة ولامامية فى هـــذا الموضع هو زواج

المتعة الذى حرمته السنة · وثمة من يؤكد أن الخليفة عمر بن الخطاب هو الذى حرمه بينما ينسب البعض الآخر هـــذا التحريم الى النبى نفسه ولقد أباحت الشيعة الامامية هذا الزواج اعتمادا على ما جاء فى سورة النســاء فى لآية ٢٤ « والمحصنات من النساء بأموالكم محصنين غيــر مسافحين فما استمتعتم به منهن فأتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما » ·وهم يعتبرون مثل هذا الزواج مقبولا خاصة وهو لايعترفون بسلطة عمـــر بن الخطاب الشرعيـــة ، ويتشككون فى صحة الأحاديث النبوية التى تناولت هـــذا الموضوع ·

ويتميز الشيعة الامامية ببعض التقاليد الدينية مثـل تخليد العلوين وحزنهم الشديد على مقتل آل البيت ، والاحتفال بعشوراء فى العاشر من محرم وهو يوم حزن وندم وتكفير عن الذنوب فى ذكرى كارثة كربلاء حيث قتل الحسين ومعه الكثيرون من آل البيت ، والحج الى قبور آل البيت فى العراق وكانت فيما مضى جـزءا من الدولة الفارسية العظمى · والشيعة يقومون بهذا الحج باخلاص شديد ، والفقراء منهم يذهبون اليه سيرا على الأقدام · وأهم مقابر آل البيت مقــابر النجف وكربلاء ، ففى النجف دفن على ابن أبى طالب بعد أن نقل اليها على اثر مقتله بالقــرب من مسجد الكوفة ، وفى كربلاء توجـد كـذلك مشاهد الحسين ومن كان معه من آل البيت · أليس التمسك بزيارة القبور والبكاء على الأطلال تعبيرا عن التمسك بالماضى والتشبث به ؟! أليست تلك التقاليد محاولة لاجـدوى منها لتخليد لحظة زمنة مضت ولا يمكن احياؤها ؟!

ثانيــا : الشيعة الاثنا عشرية :

ساق الشيعة الاثنا عشرية الامامية بعد على الى ابنه الحسن ، ثم الى الحسين ، ثم الى على زين العابدين ، ثم الى محمد الباقر ، ثم الى جعفر الصادق ومن بعده ساقوها الى ابنه موسى الكاظم ، وقطعوا بموت موسى فجعلوا الامامية من بعده لعلى الرضا ، ثم لمحمد الجواد ، ثم لعلى الهادى فللحسين العسكرى ثم لابنه محمد وهو المهدى المنتظر وأمه حفيـــدة قيصر ملك الروم وأمها من نسل الحواريين · وقد ولد محمد بن الحسن العسكرى

فى مدينة سامراء على نهر الفرات بالعراق فى عام ٩٤٠م ، واختفى وهـو طفل وما يزال الاثنـا عشرية ينتظرون ظهوره آخـر الزمان هناك ، فهـو المهـدى الذى سيحرر العالم والذى سيقضى على الظلم ويقيم حكم الاسلام والعدالة • وقـد تناقضت هذه الفـرقة فيما مضى مع نفسها فانقسمت حينذاك الى أحزاب فيما يتعلق بسلسلة الأئمـة • ويذهب بعض المؤرخين ومنهم الشهرستانى الى أن عدد هذه الأحزاب بلغ احـد عشر حزبا فمنها من ادعى بأن الحسن العسكرى لم يمت فهـو غائب فحسب ، ومنهما من ادعى ان الحسن مات بلا خلف ولكنه سيبعث من جديد ، ومنهما ما ذهب الى أن الحسن عين فى وصية له أخـاه جعفر ، ومنهما ما يدعى ان جعفر مات ولم يترك ورثة ، وذهب حزب الى أن الحسن عنـد وفاته كان له ابن يبلغ من العمر سنتين والى أن سلسلة الأئمـة ينبغى أن تنحصر فى نسل هذا الابن •

وفرقة الاثنا عشرية من أكثر فرق الشيعة اعتدالا ولذا فهى تحرص على تأكيد أن محمدا هو خاتم الأنبياء وسيد الرسـل ، وعلى كونه معصوم من من الخطأ ومن الخطيئة ، وعلى أن القرآن هو كتاب الله للاعجاز والتحدى وتعليم الاحكام وتمييز الحلال من الحـرام ، وعلى أن كل من ادعى النبوة بعد محمد أو نزول وحى أو كتاب فهو كافر يجب قتله • وتنسب هذه الفرقة مذهبيا لجعفر الصادق الذى تبلور مذهبها على يديه واتخذ بفضله صورة النهائية الواضحة حتى يطلق عليها أحيانا أسم الجعفرية نسبه اليه • فقد استطاع الامام الصادق أن يقرب مسافة الخلافة بين السنة والشيعة بمحاربته للغلاة وبابطال الكثير من أقـوال المعتزلة • ويعـد أوائل متكلمى الشيعه جميعهم من تلاميذه ونذكر منهم على سبيل المثال هشام بن الحكم وزراه ابن أعين ومحمد بن النعمان ، ولهؤلاء الفضل فى وضع أسس علم النظريات السياسية فى الاسلام باعتبارهم أول من تحدث فى الامامة وتبعهم بعد ذلك كثيرون أشهرهم الطوسى فى كتابه « قواعد العقائد » والحلى الذى شرح كتاب الطوسى المذكور والقمى الذى يعـد المؤسس الحقيقى لفقه الامامية الاثنى عشرية فى ايران ، وأهـم كتب التفسير الاثنى عشرى هو كتـاب مجمع البيان للطبرسى وكتاب التبيان للشيخ الطوسى وهمـا مطبوعان وكتاب خلاصة التفسير لسعيد بن هبـة الله الراوندى • ولعل أهم مرجع

ترجع اليه الشيعة الاثنى عشرية هو كتاب مكون من اجابات الامام موسى الكاظم عن أسئلة أخيه على بن جعفر الصادق الذى كان يعيش فى المدينة ، والذى جمعها فى كتاب عن الحلال والحرام ، وأنتشر هذا الكتاب بروأيتين أحداهما مرتبه على أبواب والأخرى غير مرتبه • وهناك كتاب أخر فى الفقه ينسب للامام الثامن على الرضا ويعد من أهم عمد المذهب الاثنى عشرى •

والشيعة الأثنا عشرية هم أكثر فرق الشيعة عددا وانتشارا كما سبق أن قلنا ، وهم يمثلون أكبر طائفة من لمسلمين بعد السنة اذ يبلغ عـددهم ما يقرب من سبعين مليونا • وهم منتشرون فى العراق وايران والهنـد وروسيا وأفغانستان وتركستان ولبنـــان ، وقليل منهم فى سوريا واليمن والحجــاز ، بل ويوجد منهم فى التبت بالصين ، وفى الصومال والبانيا وتركيا والبحرين والكويت • والمذهب الاثنا عشرى هـو العقيدة الرسمية لدولة ايران وذلك منذ قيام الدولة الصفوية •

وبعد هذا العرض التاريخى لهذه الفرقة نرى التعرض لأهم مفاهيم عقيدتها مركزين على ما تتميز به هذه المفاهيم عن مثيلاتها من المفاهيم التى تأخذ بها الامامية بشكل عام •

مفهوم الامام والمهـدى المنتظر عندها :

أهم ما يسوقه الاثنا عشرية من أحاديث تؤكد صـحة دعواهم هـو الحديث التالى الذى لا ينكره أهل السنة اذ ذكره البخارى ومسلم الترمذى : « لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش » • واذا كان علماء السنة يأخذون بهذا الحـديث مثلهم مثـل الشيعة الاثنى عشرية الا أنهم يختلفون معهم فى تحـديد أشخاص الأئمة• ويؤكد الاثنا عشرية أن امامهم الحجة المهـدى المنتظر هو المقصود بهـذا الحديث اعتمادا على الآية « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » التى يتأولونها بما يفيد ضرورة انتقال الامامـة من الوالد الى الابن الا ما كان من انتقال الامامة من الحسن الى الحسين لأن الحسن ليس أولى بالامامة من الحسين ، فهما سبطا الرسول • ومن أدلتهم النقلية أيضا فى هذا المقام حديث الرسول : « الائمة بعدى اثنى عشر أولهم على وآخـرهم القائم خلفائى وأوصيائى وأوليائى وحجج الله على أمتى بعدى ، المقر بهم

مؤمن والمنكر لهم كافر » · وكذلك الحديث النبوى المنقول عن ابن عباس « أنا وعلى والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون » · وهناك العديد من الاحاديث التى يسوقها الاثنا عشرية فى هذا المقام والتى لا يسعنا ذكرها جميعا وكلها تدور حول نفس الفكرة · ولا يفوتنا أن نشير هنا الى أن الاثنى عشرية لا تدلل على صحة رايها هنا الا بادلة نقلية هى الاحاديث وكان جدير بها أن تستعين بالادلة العقلية وهى التى تدعى حمل لواء الاجتهاد ! ·

وللمهدى المنتظر غيبتان عند الاثنى عشرية ، غيبة صغرى وأخرى كبرى · أما الغيبة الصغرى فهى غيبته مع وجود الذين يقومون بدور الوكلاء له وأهم أربعة ويقومون بدور الوساطة بينه وبين شيعته فينقلون اليهم معالم الدين وأحكام الشريعة · وبموت النائب الرابع بدأت غيبته الكبرى · ولا يذكر متكلمو الشيعة الصورة التى غاب عليها · هل حملته الروح القدس كما كانت تحمله من قبل عندما كان يختفى عن الانظار فى حياة أبيه · هل سيظهر فى سرداب سامراء الذى يقال انه دخله ولم يخرج منهأم فىداره الذى يذهب البعضالى أنه لم يخرجمنها لا هو ولاأمه · ومهما تكن الحقيقة هنا فأمل الشيعة الأثنى عشرية يتركز فى ظهور المهدى المنتظر فى سرداب سامراء حيث يجتمعون فى جماهير غفيرة ويرتفع دعاؤه طالبين الشفاعة من الامام الغائب لمحو الذنوب وستر العيوب · ولا تعنى الغيبة الكبرى عند الاثنى عشرية انقطاع سلطته عن الناس انما تعنى فحسب أن الله حجبه عن العيون وان تظل حيا يستطيع الخاصة رؤيته من وقت لآخر · ويحاول بعض الباحثين تفسير ظهور فكرة المهدى المنتظر عند الشيعة ألامامية الاثنى عشرية تفسيرا عقلانيا فيذهبون الى ان اختفاء الامام الثانى عشر — وهو ما يزال طفلا وهو معقد الآمال العظيمة اذ كان عليه ان يستعيد السلطة لآل على بن أبى طالب وان يستكمل الدين — ترك الشيعة فى حالة احباط ويأس شديدين وفى حالة ذهنية عجيبة · لم يرضخوا للواقع ولم يصدقوا أن مطامعهم انهارت وأن مذهبهم قد تقوض فتخيلوا أن المهدى لم يمت وانما أختفى وحسب وانه سيعود يوما لا يعلمه الا الله ومعه قوة كبيرة ومصير عظيم ، وهذا هو الظهور · وتطلق على المهدى المنتظر القابا أخرى من قبيل صاحب الزمان أو صاحب العصر

والقائم المنتظر والامام الحجة ٠ وفكرة المهدى المنتظر هذه نجد لها مثيلا فى التراث اليهودى المسيحى فهى تطوير لفكرة المسيح التى يقول بهـا ٠ وقد تشكك علماء السنة فى هذا المهدى المنتظر بالصورة التى يتحدث بها عنه علماء الاثنى عشرية ٠ فالمهدى عند السنة لابد وان يكون اسمه مثـل اسم الرسول أى محمد بن عبد الله بينما اسم المهدى المنتظر الاثنى عشرى هو محمد بن الحسن العسكرى ، كما ان الامام يشترط فيه أن يكون بالغـا بينما هذا الامام اختفى وله من العمر ثمان سنوات على أكثر تقـدير ٠ بل يذهب بعض علماء السنة الى حد التشـكيك فى وجـود ولد عاش للامام الحادى عشر ! وثمـة اعتراضات رئيسية توجـه للاماميـة الاثنى عشرية ويردون عليها اعتمـادا على أدلة نقلية مما لا يقبله التفكير العـقلانى ٠ ومن هـذه الاعتراضات أن الاحاديث النبوية تشير الى خـروج المهدى فى آخر الزمان ، وهذا أمر لا يمكن انكاره ، ولكنها لا تتعرض من قـريب أو من بعيد الى وقت ولادته فمن الجائز انه سيولد فى القـرن الذى سيخرج فيه مما يعنى انه لم يولد بعد بالفعل ، بل ومما يتعارض مع هـذه الفكرة تماما ٠ ويرد الاثنا عشرية على هذا الاعتراض بقولهم أن بقاء المهدى حيا مثل الخوارق التى حدثت لابراهيم وداوود وسليمان وموسى وعيسى وغيرهم من الانبياء ولا تتنافى مع حكم العقل لانها حدثت بالفعل ٠ أما الاعتراض الآخر فهو استبعاد بقاء الامام طوال هذه المدة التى تتجاوز الالف سنة ٠ ويرد الأمامية الاثنا عشرية بأن نوح عاش بين قومه الف سنة الا خمسين عاما وان النبى خضر ما يزال حيـا فيما يؤكد كثير من علمـاء الدين ٠ ويتساءل الامامية لمـاذا يقبل علماء السنة استمرار حياة أربعة من الأنبياء اثنان منهما فى السماء وهمـا ادريس وعيسى واثنـان منهما على الأرض هما اليـاس والخضر ولا يتقبلون فكرة بقـاء الامـام المهدى المنتظر حيـا طوال هذه المدة ٠ ومن يقدر على حفظ الحياة يوما واحدا فى رأيهم يقدر على حفظها آلاف السنين ٠ وصحيح أن امتداد الحياة لمئـات السنين لهو خرق للعـادة لنواميس الطبيعة ولـكن الله قادر على كل شىء وما هـذا الا معجزة من معجزاته ٠ أما الاعتراض الثالث وهو اعتراض من شأنه اظهار التناقض الموجود داخل عقيدة الامامة الشيعية فيتمثل فى التساؤل عن الحكمة والمصلحة من بقاء المهدى المنتظر حيا مع غيبته ، أفليس وجوده مع عدم الانتفاع به الا كعدمه ؟ ويبدو أن الامامية الاثنى عشرية عجـزوا

تماما ن الرد لى هذا الاعتــــراض ردا عقــلانيا أو حتى ردا يتنق ومنطق عقيدتهم ولذا يقرون بأن هذا الأمر حكمة ربانية ومصلحة الاهية وسر ن أسرار الكون والتشريع مثله مثل الأحكام التى مازلنا نجهل الى يومنــا هذا الحكمة من وجودها كتقبيل الحجر الأسود مع أنه لا يضر ولا ينفع ، وكفرض عدد معين من الركعات لكل وقت من أوقات الصلاة ٠

ثالثــا : الشيعة الاسماعيلية :

١ ــ نظرة تحليلية لنشأتها ولتاريخها :

سبق أن رأينا كيف انقسم ٠ الشيعة الامامية الى فــرقتين على أثر وفاة اسماعيل بن جعفر الصادق فذهبت فرقة وهى الاثنــا عشرية الى أن الامامة من بعــــد جعفر الصادق هى من حق موسى الكاظم بينما ذهبت الفرقة الأخــرى وهى الاسماعيلية الى أن الامــامة من حق ابن اسماعيل فنسبوا الى اسماعيل هذا ٠ وقــد ذهب الاسماعيلية الى أنه بالرغم من وفاة اسماعيل فى حياة أبيه فان الامامية لابد وان تكون لابنه محمد لأن جعفر الصادق كان قد نص بالفعل على ابنه اسماعيل والبــداء محال فى هذا الأمر ، ولأن الامامة لا تكون الا فى الأعقاب وذلك تأويلا للآية القرآنية الكريمة : « وجعلها كلمة باقية فى عقبة » التى يتأولونها بأن الكلمة هنــا تعنى الامامة التى لابد وأن تكون فى الأعقاب ٠ والاستثناء الوحيد عنــد الاسماعيلية لهذه القاعدة كان بالنسبة لسبطى الرسول الحسن والحسين ٠ ومن ناحية أخرى وفقا للتقليد الشيعى القديم الذى يوجب تسلسل الامامة فى أكبر أهل البيت سنا كان اسماعيل أحق من عمه موسى الكاظم لأنه كان أكبر منــه سنا وبالتــالى فلابنه الحــق فى الامامة من بعــده ٠ ويحــكى الاسماعيلية أن جعفر أدعى قصة موت ابنه حماية له من بطش الخليفــ العباسى أبى جعفر المنصور ، الذى كان يطارد الشيعة ، وأن اسماعيل قــد شوهد بالفعل بعد ذلك فى البصرة وفى غيرها من مدن بلاد فارس ، وبناءا على ذلك فالامامة لم تسقط عنه بموته قبل وفاة أبيه طالما هو قــد مات فى حقيقة الامر بعد أبيه ٠ وتبدو هذه القصة خيالية تمــاما ٠ الا أن لمؤرخى الفرقة الاثنى عشرية بل ولبعض مؤرخى أهــل السنة والجماعة موقفــا مختلفا تماما من اسماعيل اذ يؤكدون أنه لم يكن بالرجل الصالح للامامة

بعد أن ادمن شرب الخمر وانغمس فى اللهو وصادق رفقاء السوء ، وهو ما جعل جعفر لايرضى عنه ولاينص عليه ٠

وقبل أن نمضى فى التاريخ للاسماعيلية نتوقف عند تسمية هذه الفرقة بالسبعية فيما مضى ٠ والاسماعيلية أنفسهم حاليا باستثناء علمائهم ـ لا يعرفون الاسباب الاصلية لهذه التسمية التى اطلقها عليهم المؤرخون العرب ٠ وهذا اللقب غامض جدا فى حقيقة أمره خاصة وان اسماعيل ابن جعفر هو الامام السابع فهل معنى هذا أنهم يتوقفون عنده ولا يقولون بائمة من بعده ؟ واذا كان هذا صحيحا فكيف نعلل قولهم بمهدى منتظر سيكون ترتيبه الثامن ؟ وكيف نعلل أخذهم بعدد كبير من الأئمة فضلا عن المستورين منهم ؟ والاسماعيلية على اختلاف فرقها توكد ضرورة وجود امام هو فى ظاهره مجرد انسان محدود العمر ولكن من شانه حفظ نظام العالم ، وهذا يتناقض تماما مع قولهم بسبعة أئمة فحسب ٠ وثمة تعليل لأصل هذه التسمية نميل الى الاخذ به لكونه يقوم على أساس مذهبى وهو أن السبعية سموا كذلك لأن النطقاء بالشرائع أى الرسل عندهم سبعة وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد المهــدى وهو آخر النطقاء وسابعهم ، وبين كل اثنين من هؤلاء النطقاء سبعة أئمــة يتممون شريعته كما انه لابد فى كل عصر من سبعة بهم يهتدى ٠ ولقد تمسكوا بالرقم سبعه وجعلوا كل احكامهم تدور على اساسه ٠ ويرجع تمسكهم بهذا الرقم الى أن أيام الأسبوع سبعة وكذلك السماوات سبع ٠ كما كان يطلق على الاسماعيلية اسم الباطنية لقولهم بالباطن المستور ، واحيانا اسم الملحدة لما جاء فى مقالاتهم من الحاد فى نظر السنة ، ومن اسمائهم أيضا البابكية لأن طائفة منهم اتبعت بابك الخرمى بأذربيجان ، والمحمرة للبسهم الحمرة أيام بابك أو لاطلاقهم على بقية المسلمين اسم الحمير ! ، ومن اسمائهم أيضا التعليمية وانتشر هذا الاسم بالذات فى خرسان ٠

ونعود لمحمود بن اسماعيل بن جعفر الصادق وهو من يطلق عليه اسم محمد المكتوم فنقول انه كان فى نظر الاسماعيلية أول الائمة المستورين ولقد اضطر ان يترك المدينة المنورة وهى مسقط رأسه والى أن يهاجر الى خوزستان جنوبى غربى ايران ثم تركها الى بلاد الديلم (جنوب بحر

القزوين) ثم انقطعت أخباره تماما وبدأت بذلك فترة الستر التى لا نعرف عنها الا معلومات مضطربة للغاية فحتى بالنسبة لعدد ائمة هذه الفترة اختلف العلماء فمنهم من يذهب الى انهم ثلاثة وبعضهم يذهب الى انهم خمسة والبعض الآخر يذهب الى انهم سبعة • وكل ما يمكننا تأكيده هو أن فترة الستر هذه استمرت فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى عندما ظهرت حركة القرامطة الاسماعيلية فى البحرين وفى بلاد الشام • ويمكن تعليل فترة الستر هذه التى سبقت فترة الظهور بخوف الاسماعيلية من بطش اعدائهم العباسيين وقد دخل القرامطة مكة اثناء موسم الحج وانتزعوا الحجر الأسود وحملوه معهم الى عاصمتهم هجر ثم ما لبثوا ان تملصوا من طاعة الائمة الاسماعيلية فقتلوا الكثير من أفراد اسرهم • ويمكن اعتبار حركة القرامطة هذه أول مشاركة علنية للاسماعيلية فى الحياة السياسية •

ثم تكونت الدولة الاسماعيلية الكبرى أى الدولة الفاطمية على يد الامام الاسماعيلى عبيد الله المهدى عام ٢٩٧ ونظرا للمبالغة فى التستر من جانب الأئمة — اذا كان الأمام لا يكون ظاهرا الا اذا كانت هناك قوة تسانده أما اذا لم يتحقق ذلك ركن الى التستر وسمى بالامام المستور ويكتفى فى هذه الحالة بكون دعاته ظاهرين من اجل اقامة الحجة على الخلق — شك كثير من المؤرخين فضلا عن شك معاصرى هذه الدولة انفسهم فى صحة نسب أئمة الدولة الفاطمية حتى ذهب أعداؤها الى أن الامام الاسماعيلى عبيد الله المهدى هو ابن رجل يهودى كان حدادا بسلمية تزوجت أمه بعد وفاة أبيه من أحد الاشراف العلويين فادعى لما كبر لنفسه نسبا علويا • ولأهمية هذه المسألة التاريخية نتوقف عندها قليلا •

هذا الرجل اليهودى الذى ينسب اليه اعداء الفاطميين الاسماعيليين الدولة الفاطمية كلها كان يدعى ميمون القداح • ويقال ان ميمون هذا من أبناء ربصان النوبى وأنه لقب بالقداح لأنه كان كحالا يقدح العين ، وأنه كان أول من اتخذه الأئمة المستورين حجة ونائبا لهم اذ جعله جعفر الصادق حجابا وسترا على حفيده محمد بن اسماعيل أول الأئمة المستورين • بل قيل عنه انه كان راوية للامام محمد الباقر ولابنه جعفر الصادق • وتذهب

للاسماعيلية فى محاولة منها لرفع شانه الى ان نسبة يرجع الى سليمان الفارسى · ويكتنف حياته الغموض فنحن لانعرف ابن ولـد ولا كيف كانت نشاته الأولى وان ذهبت بعض المصادر الى انه ولد فى مـكة ثم انتقل الى الأهواز · وبوجه عام يمكنا القول بأن شخصية ميمون بن القداح وعائلته وعلاقتهما بالاسماعيلية ما زالت محل نقاش · هل كان ميمون القداح هذا يهوديا بالفعل تظاهر بالاسلام حتى تتاح له الفرصة لهدمه وليبث فيه بحيلة شيطانية بذور الالحاد والزندقة ؟ يؤكد بعض المستشرقين ، وعلى راسهم العـالم الروسى الشهير ايفـانوف المتخصص فى تاريخ الاسماعيلية ، أن لا ميمون ولا ابنه عبد الله كانا يهوديين ولا حاولا بث الالحاد والزندقة فى الاسلام ، ولا كانا أساس الدعـوة الاسماعيلية الفـاطمية باى شـكل من الأشكال · والحقيقة التاريخية الوحيدة التى يمكن اثباتها فى هذا المقام هى أن عبـد الله كان رفيقا للامام جعفر الصادق · ويبرز ايفانوف تدليلا على صحة رأيه تلك الرواية التى بمقتضاها اكـد المعز لدين الله الفاطمى لأحد دعاته فى السند أن ميمون القـــداح ما هـو الا الامام عبد الله بن اسماعيل ! أما كلمة ميمون فكانت لقبا له قصد به تكـريم صاحبه ، وأما كلمة القداح فالمراد بها من يقدح من حوله ضوء الحكمة الالهية · ويميل ايفانوف ـ المتلىء حماسا للفاطميين والذى يريد أن يبعد عن نسبهم كل غبار ـ الى الأخـذ بالرأى القـائل بأن ميمون كان من المـوالى وبأن كان خادما مخلصا للامام محمد الباقر لابنه جعفر ، وتبعا لذلك يرفض ما جاء عند ابن الأثير من انه كان من كبار دعاة الالحاد والـكفر وانه الف كتابا عنوانه « الميزان فى نصرة الزندقة » ·

وفى رأينا أن ميمون القداح هذا سواء كان يهوديا حاول بث الالحاد والكفر فى الاسلام أم لا ، وسواء أكان هو جـد مؤسسى الدولة الفاطمية أم لا ، فالشىء المرجح أن الرجل كان يهوديا ونستنتج هـذا من اسمه ومن أسماء ابنائه ابراهيم وأبان وعبد الله · وفى رأينا كذلك أن اليهود بحـكم سماتهم الشخصية العجيبة التى ساهمت فى تكوينها عوامل تاريخية عديدة ممن لا يطمأن لهم ولا لمحاولتهم التقرب من ائمة الاسلام كما فعل هذا الرجل وفعل ابناؤه من بعده · ومؤرخو الاسماعيلية والمحدثون منهم بشكل خاص يتمسـكون بمقولة أن ميمون القداح هـو جـد مؤسسى الدولة الفـاطمية

ويعلون من شانه فيؤكدون انه كان من اعلام الدعـوة الاسماعيلية برتبة حجـة أو باب الأبواب وهو ما أتاح له مرافقـة الامـام وملازمتـه · وهم يحاولون من جهة أخرى تبرير تلك التهم التى نسبت له بقولهم ان العباسيين لـا عجزوا عن مقاومة قوة الفاطميين لجأوا الى وسـيلة وضيعة للنيـل منهم وهى الطعن فى نسب أئمتهم ·

تعود للتاريخ للاسماعيلية فنقول انها انقسمت الى فرقتين كبيرتين على أثر وفاة الخليفة الفاطمى المستنصر بالله عام ٤٨٧هـ اذ دفن وزيره الافضل بن بدر الجمالى ابنه نزار صاحب الحق الشرعى فى الامامة حيا هو واحد أبنائه ونصب ابن اخته هو من هذا الخليفة وهو المستعلى ـ وكان حينذاك طفـلا صغيرا ـ امـاما دون حـق فاطلق على من أيد هـذا الوضـع اسم الاسماعلية المستعلية الغربية · أما من اكد حق الامـامة لنزار ولابنائه من بعده فقـد أطلق عليهم الاسماعيلية النزارية أو الشرقية · وانقرضت الاسماعيلية الغربية من مصـر تماما على يد صلاح الدين الايوبى ولكنها مازالت موجودة فى الهند واليمن وعدن وباكستان بعد ان انقسمت بدورها الى فـرق منهـا السليمانية التى تنسب للداعى سليمان بن حسن الذى عاش فى القـرن العـاشر الميـلادى · وفى عصرنا هـذا يطلق على زعيم السلمانية اسم الداعى المطلق ومقـره اليمن وله نائب فى الهنـد · وأما الداوودية فهم ينتسبون الى داوود ابن قطب شاه الداعى السابع والعشرين الذى عاش فى نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الميلاديين وقـد أصبح يطلق عليهم اليـوم اسم البهرة وهم منتشرون فى الهند وباكستان وعدن وجبال حراز باليمن · وقد قدم البهرة خدمة جليلة للتراث الاسماعيلى بمحافظتهم عليـه اذ اسـتطاع دعاتهم ان يحافظوا عـلى عـدد كبير من المؤلفات الدينية والادبية التى وضعها علماء ودعاة الدعـوة فى مصر فى العصر الفاطمى بينما ضاعت هذه المؤلفات من مصر ذاتها كـذلك حافظوا على المؤلفات التى وضعها دعاة الفرس واليمن فى العصر الفاطمى ولولاهم لـا عرفنا شيئا عن حقيقة الدعوة الاسماعيلية الا عن طريق كتب اعداء الاسماعيلية ·

اما الاسماعيلية النزارية أو الاسماعيلية الشرقية فقد اسست دولة كان لها شأن خطير فى ايران والهند والشام اقامها الحسن بن الصباح الفارسى الأصل متخذا من قلعة الموت جنوبى قزوين مركزا له هو واتباعه الفدائيين المدربين احسن تدريب وقد دعا لامام من أصل فاطمى وهو أحد ابناء نزار بن المستعصم بعد أن أخفاه فى قلعته • وقد عرفت هذه الدولة بأسماء عديدة عند المؤرخين : فمنهم من سماها بالباطنية لأخذها بالباطن ومنهم من أطلق على أصحابها اسم الحشيشية لتعاطى أصحابها الحشيش وان نفى عنهم البعض الآخر هذه العادة السيئة التى تتعارض مع اشتهروا به من عمل فدائى ، أما المؤرخين الغربيون فيطلقون على هؤلاء الاسماعيلية اسم السفاكين لقيام دولتهم على العنف وسفك الدماء •ومن بقوا من الاسماعيلية الشرقية النزارية الى اليوم يطلقون على انفسهم اسم النزارية ليميزوا انفسهم عن الاسماعيلية الغربية اصحاب الدعوة الفاطمية ؛ كما يسمون انفسهم باسم المؤمنين أو المسلمين أو أهل الوحدة • وهم مازالوا يعيشون فى سوريا جنبا الى جنب مع النصيرية والدروز وهناك يطلق عليهم اسم الاسماعيلية فحسب • وهناك عدد منهم فى ايران وفى افغانستان وفى شرق أفريقيا وفى آسيا الوسطى وفى الهند ، وامامهم الروحى هو الامام التاسع والأربعون ويدعى أنه من نسل على بن أبى طالب وهو كريم خان وهؤلاء الاسماعيلية الشرقية يدعون أن شمس التبريزى وجلال الدين الرومى الصوفيين المعروفين كانا من أعلام مذهبهم •

٢ ــ نظرية الامامة عند الاسماعيلية :

غالى الاسماعيلية فى ستر ائمتهم لفترات طويلة من تاريخهم خشية بطش الحكام بحيث يصعب تحديد أسماء هؤلاء الأئمة فى دور الستر على ان ثمة اتفاقا بين المؤرخين على ان سلسلة الأئمة عند لاسماعيلية هى على النحو التالى مبتدئين بالحسن بن على الحسن بن على بن ابى طالب ، ثم الحسين ابن على بن أبى طالب ، فعلى زين العابدين بن الحسين ، فمحمد الباقر بن على زين العابدين ، فجعفر الصادق بن محمد الباقر ، فاسماعيل ابن جعفر الصادق ، فمحمد بن اسماعيل وهو آخر الائمة الظاهرين • أما الأئمة المستورون الذين أعقبوا الامام محمد بن اسماعيل فلا نعرف منهم الا عبد الله بن محمد بن اسماعيل وأحمد بن عبد الله والحسين بن أحمد •

وكل ما نستطيع ان تؤكده ان فترة الستر او الغموض الشديد هذه امتدت من عام ١٤٧ هـ اى من تاريخ وفاة جعفـر الصادق الى عـام ٢٩٦ هـ وهى سنة ظهور عبيد الله المهدى بالمغـرب وتأسيسه للدولة الفاطمية · ولعـل تمسك الاسماعيلية بمبدأ التقية مما ساعدهم على الاستتار · وهم يتمسكون اكثر من غيرهم من فرق الشيعة بقـول الامام جعفـر الصـادق : « التقية دينى ودين ابائى ومن لا تقية له فلا دين له » · والامام فى دور الستر أى عندما لا يكون على راس دولة حقيقية ظاهـرة يخفى شخصيته عن الجميع باستثناء كبار دعاته · بل كان امعانا فى الخـفاء يسمى الدعاة باسـمه ويلقبهم بلقبه مما يزيد من التمويه ·

وبالرغم من انه يمكنا القول بوجه عام ان اراء كل الفرق الشيعية عن الامامة تكاد تكون واحـدة الا أن علينا أن نلاحـظ أن الاسماعيلية يخلعون على ائمتهم صـفات لم تعـرفها الفرق الاخرى هى صـفات باطنية بحيث جعلوهم فى مرتبة لا تمت الى البشرية بصلة · فالامام عندهم هو «وجه الله» و « يد الله » و « جنب الله » ، وهو الذى يحاسب الناس يوم القيامة فيقسمهم بين الجنة والنار · وهو الصراط المستقيم و « القرآن الكريم » · الا يمكنا القول انهم بذلك الهوا الأئمة صراحة · والامام عندهم منصوص عليه تماما كما هو الحال عند الاثنى عشرية وان اختلفوا معهم فى سلسلة الأئمة بعد جعفر الصادق ، والنص يكون من السابق للاحق بحيث تتسلسل الامـامة فى الاعقاب اى أن الامام ينص على احد ابنائه · والغريب ان كثيرا من ائمة الاسماعيلية لم يحترموا هذا الأصل الاساسى من اصـول العقيـدة لاعتبارات سياسية ·

كانت الامامة دائمـا عنـد الشيعة الاسماعيلية هى عمـاد عقيـدتهم وفلسفتهم لأنهم جعلوا ولاية الامام هى الركن الأساسى لجميع اركان الدين، وثمة قول لعلى يذكرونه دائمـا وهو رده على هـذا السؤال « ما الايمـان وما الاسلام ؟ » قال « الاسلام الاقرار والايمـان الاقرار والمعـرفة فمن عرفه الله نفسه ونبيه وامامه ثم اقر بذلك فهو مؤمن » ·

ويختلف الاسماعيلية عن بقية فرق الشيعة بل عن الاثنى عشرية وهى من الامامية مثلها مثل الاسماعيلية بقولهم بنوعين من الامامة فهنـاك

« امام مستودع » و « امام مستقر » • والامام المستودع هو من يباشر سلطات الامام الدينية والزمنية فى حالة وفاة أحد الائمة ، بينما ولى عهده ما يزال طفلا صغيرا لا يستطيع أن يقوم بمهام الامام ، وتنتهى مهمته ببلوغ الامام المنصوص عليه السن اللائق • أما الامام المستقر فهو الامام العادى • والامام المستودع لا يتمتع بأى سلطان روحى كما أن ليس من حقه أن ينقل الامامة الى احد أبنائه بل هو يحكم باسم الامام الشرعى وحسب • وهو معصوم عصمة مكتسبة من مرتبته أما الامام المستقر فهو صاحب النص الشرعى وصاحب السلطان الدينى وعصمته ذاته • وعندما كان الائمة فى مرحلة الستر خوفا من أعدائهم أى قبل أن يتمكنوا من تأسيس دولة اتخذوا أئمة مستودعين تعمية لأعدائهم وسترا على صاحب الحق الشرعى • فى استطاع الاسماعيلية اذن دائما أن يكون لهم امام سواء أكان مستقرا أو مستودعا فى كل زمان • وهذا أمر ضرورى بالنسبة لهم لأن معرفة الامام ضرورية للشيعى الاسماعيلى المؤمن فعندهم أن من مات ولم يعرف امام زمانه مات ميتة جاهلية •

وفى البدء ذهبت الاسماعيلية النزارية أو بمعنى أصح ذهب منشىء هذه الطائفة وهو الحسن بن الصباح الى أن الامام هو المسئول الأول عن اتباعه ، وهو الذى يتحمل بدلا عنهم الحساب يوم القيامة ان أطاعوه طاعة تامة وآمنوا بامامته • وبذلك دخلت الدعوة الاسماعيلية على يد هذا الرجل دورا جديدا من أدوار العقيدة وهو دور عدم القيام بالفرائض الدينية من صلاة وصوم وحج ، ولكن بعد قليل تراجعت الاسماعيلية النزارية عن تلك الدعوة بل وأحرقت كتب الحسن بن الصباح والكتب السرية التى وضعت عند نشأة هذه الفرقة وتسربت الى أهل السنة • وما يزال الاسماعيلية النزارية يحتفظون الى اليوم بمبدأ الطاعة العمياء للأئمة ، ذلك المبدأ الذى كان فيما مضى من أهم مقومات العمل السرى الناجح الذى برع فيه الاسماعيلية • ومن المعروف ان هذا المبدأ من أصول التراث الفارسى الذى يعتبر طاعة الأكاسرة واجبا مقدسا •

لعله يكون قد اتضح من عرضنا هذا الذى جمع بين العرض التاريخى والعرق التحليلى الفلسفى لمفهوم الامامة ، لعله يكون قد اتضح أن

الامامة عند الاسماعيلية مفهوم سياسى فى المقـام الأول ثم اكتسى بصـيغة دينية حتى يكتسب قوة العقيدة ·لقد ارادت هذه الفرقة ان تحقق اهـدافا سياسية معينة لـذا صاغت مفهـوم الامامة ـ بما أن الامام هو رأس النظام السياسى عندهم ـ بما يحقق هذه الأهداف ·

٣ ـ الدعــوة :

سواء اكانت العقيدة الاسماعيلية عقيدة دينية خالصة كما يزعم اصحابها ، ام عقيــدة سـياسية تسربلت برداء الدين طمعا فى التأثير والانتشار فالامر المتفق عليه أن اتباعها عملوا على نشــرها بوسيلة كتب لهـا نجاح باهر كما يذكر لنـا التاريخ · وما هذه الوسيلة الا الدعوة التى ادت الى زعزعة اركان الدولة الاسلامية الرسمية ونعنى بها الدولة العباسية ·

ويرجع نجاح هذه الدعوة فى رأينا الى ايمان اصحابها الشديد بها والى اقتناعهم بضرورة التضحية بأرواحهم من اجلها وتنفيذا لأوامر الرؤساء الروحيين · فما هى هذه الدعوة ·

الدعوة أو الدعاية بأسلوبنا المعاصر كانت هى الوسيلة المبتـكرة التى ابتدعها الاسماعيلية لتحقيق اهدافهم فى دور الستر وفى دور الظهور معا ، اذ فطنوا الى تأثيرها الذى قد يفوق تأثير الحملات العسكرية ، ولذا جعلوها من صميم عقيدتهم وفلسفتهم المذهبية ·ان الكلمة أمضى سلاح· وكان أهم مفهوم فى الدعوة الشيعية الاسماعيلية اعتمد عليه دعـاة الاسمايلية المنبثين فى كل مجتمع هو القول بالمهدى المنتظر الذى سيملاء الدنيا عدلا بعـد امتلأت جورا · وقـد نظم الاسماعيلية دعايتهم تنظيما دقيقا على غرار الدورة الفلكية ، فـكما أن السـنة تنقسم الى اثنى عشر شهرا قسموا هم العالم الى اثنى عشر قسما او جزيرة · وهذه الجزر هى العرب والترك والبربر والزنج والحبشة وخزر والصين وفارس والروم والهند والسند والصقالبة · وجعلوا لكل جزيرة من هذه الجزر داعيا هو المسئول الأول عن الدعاية فيها ويطلق عليه لقب « داعى دعاة الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » · وكما أن الشهر مقسم الى ثلاثين يوما فكذلك لكل داعى من دعاة الجزر ثلاثون داعيا نقيبا لمساعدته فى نشر الدعوة وهؤلاء النقباء هم عيون حجة الجزيرة المنبثة فى كل مكان · ويتبع كل داع نقيب

اربع وعشرون داعيا أى أن عددهم يماثل عدد ساعات اليوم · وكما أن اليوم ينقسم الى نهار وليل قسموا هؤلاء الدعاة الى قسمين متساويين قسم الدعاة الظاهرين ظهورالشمس بالنهار وهؤلاء هم المكاسرون ،وقسم الدعاة المحتجبين المستتورين استتار الشمس بالليل وهؤلاء هم المأذونون · وأول مراحل الدعوة يقوم بها أحد المـأذونين فاذا ما نجح فى تشكيك المستجد فى عقيدته الأصلية وجعله مستبعدا لتلقى العقيدة الاسماعيلية أحالة الى أحد المكاسرين الذى يزيد من زعزعة عقيدته · ولقد وصف لنـا الغزالى الامـام السنى الشهير والذى تحاول بعض الدراسات الحديثة اثبات انه كان من عتاة الباطنية اذ نجح فى أن يكون فى الظاهر أحد أعمدة السلطة السنية بينما هو فى « الباطن » باطنى أصيل نجح فى تطبيق مبدأ التقية ، مراحل الدعـوة فى كتـابه الشهير « فضائح الباطنية » فقال انها تبـدأ « بالتأنيس » وما التانيس الا محاولة كسب ود المستجد حتى توجد الألفة بين الأثنين · وفى هذه المرحلة يكثر الداعى من ذكر المواعظ اللطيفة ومن الطعن فى أصحاب السلطة وفى العلماء · أى أن الداعى يقذف بالمستجد فى بحر الشك العميق ، ولكنه يلوح له من أن لآخر بالأمل فى النجاة ذلك الأمل الذى لايستطيع تحقيق الا آل البيت ببركتهم · والحيلة المتبعة من قبل الداعى فى هـذه المرحلة هى حيلة « التعليق » فالداعى لايكشف لفريسته عن الحقائق التى من شأنها تقويض الشكوك التى أثارها هو فى نفسه بل يتركه معلقا متعطشا للمعرفة · فاذا ما بلـغ المسـتجد ــ الذى أصبح مستجيبا بعد أن جرد من كل يقين ــ درجة معينة من الشوق والاستعداد اشترط عليه الداعى المكاسر أخذ عهد أو ميثاق الكتمان عليه · فاذا ما وافق هذا المستجيب بدأت « حيلة التدليس » وتتلخص فى ألا يكشف له عن الاسرار كلها دفعة واحدة بل يكشف له فحسب عن قاعدة المذهب ألا وهى أن أسرار القرآن لايعرفها الا آل البيت · ويستشهد هنا على صحة ذلك بحديث الرسول (ص) لما سئل عن معرفة الحق من بعده : « الم أترك فيكم القرآن وعترتى » ويفسرون لفظ العترة هنا باعقابه فهم وحـــدهم الذين يقفون على معانى القرآن الحقيقية · وكان الداعى المكاسر اذا ما تأكد من سقوط المستجيب تماما فى الشك المطلق ومن اقتناعه بالفـــكرة الوحيدة اليقينية التى كشف له عنها الا وهى أن آل البيت ينفردون بمعرفة أسرار القرآن ، أحاله الى داعى أعلى منه مرتبة هو النقيب · وبحذر شديد وفقا

لخطة محكمة للغاية كان هـذا الداعى يفسر له بعض المشكلات والمسائل المذهبية تفسيرا هو أقرب الى تفسير أهل السنة والجماعة وان كان يلمح له من وقت لآخر ببعض التأويلات الباطنية المبدئية التى لا ضرر من كشفها ، ويبرر له هذه التأويلات الباطنية بأن للقرآن باطن هو اللبـاب وله ظاهر ما هو الا القشر · وفى هذه المرحلة تتزعزع ثقـة المستجيب فى النقل · وكان الدعاة الاسماعيلية يسلكون مسلكا شديد الذكاء ويدل على معرفة دقيقة بالنفس البشرية ؛ فنظرا لكون الانسان بطبيعته يخشى الخروج على المألوف فقد كان هـؤلاء الدعـاة ليطمئنوا المسـتجدين يدعـون أن عليه القوم وكبار المفكرين فى عصـرهم الذين يحظون بثقـة الناس واحترامهم ممن يدينون بمذهبهم · ومن باب الحـذر والاحتياط كانوا يختارون من هم بعاد عن البـلاد حتى يصعب التأكد من صحة أو خطأ مزاعمهم · وليطمئن قلب المستجيب كان الداعى يؤكـد له قرب الفـرج وانتصار أصحاب هذا المذهب أى الاسماعيلية ، اليست حيل هذه الدعوة من قبيل ما نسميه اليوم ببلبلة الافكار وبغسيل المخ ؟!

أسـاس الدعـوة الاسماعيلية كما اتضح من العرض هـو الحذر الشديد والتخطيط الدقيق للمراحل المختلفة · فالمستجيب لا ينقل الى مرحلة أعلى ولا يكشف له عن مزيد من الاسرار الا وفق برنامج محكم · والمستجيب الذى يرجى منه خيرا هو الذى يسمح له بحضور مجالس داعى دعـاة الجزيرة الذى يتمتع وحده بحق تعليم النـاس التأويلات الباطنية للدين والقرآن والحديث من جهة وتعليم الدعـاة فلسفة الدعـوة المذهبية أى تعليمهم الحقيقة من جهة أخرى · وعندما يصـل المستجيب لهذه المرحلة يصبح داعيا · والامام هو الذى يختار بنفسه من دعاة الجـزائر أقواهم بياناوأغزرهم علما ليجعله « داعى الدعاة » الذى يشرف على الدعوة فى جميع الجزائر ليكون الواسطة بين دعاة الجزائر وبين الامام · ومرتبـة داعى الدعاة ليست من المراتب السرية فكل الدعاة يعرفونه · وثمة مرتبه أرقى وهى مرتبة الحجة وصاحبها هو « حجة الامام » وفى بعض الاحيان يكون داعى الدعاة هو فى نفس الوقت حجـة الامام اما اذا كان الحجة لا يقوم الا بوظيفته هذه فانه يكون مستترا لا يعرفه أحد حتى داعى الدعاة نفسه · وهناك مرتبه سرية أخرى وهى مرتبة باب الابواب وصاحب هذه المرتبة يجهله الجميع ولا يعرفه الا الامام فقط ولم يصـل الى هـذه

المرتبة الرفيعة عبر التاريخ الا أفراد قلائل يعدون بالآحاد . وهـذه المرتبة تلى مرتبة الامام مباشرة . والعجيب أننا لا نعرف الى الآن الشخصيات التى شغلت هذه المرتبة كما لا نعرف طبيعة وظيفتهم ! . وواضح من هذا العرض أن الدعوة الاسماعيلية هى جهاز سرى دقيق التنظيم للغاية وقد ش على أسس فكرية ومذهبية مدروسة بعناية مما جعلها تنجح نجاحا كبيرا كما يشهد بذلك التاريخ .

٤ ــ نظرية التأويل

ذهب الاسماعيلية الى أن الله خص عليا بن أبى طالب بالتأويل كما خص الرسول (ص) بالتنزيل فوراء كل ظاهر وهـــو « المثل » باطن هو « الممثول » ، وهـــذا الباطن الذى لا نبلغه الا بالتأويل لا يصـــل اليه الا الراسخون فى العلم وهم الائمة الذين ينقلونه لكبـــار الدعاة . قال داعى الدعاة المؤيد فى الدين هبه الله « يخلق اللـــه أمثالا وممثولات ، فجسم الانسان مثل ونفسه ممثول ، والدنيا مثل والآخرة ممثول » . ولقد أورث على بنأبى طالب علمه الباطن للائمة من أعقابه بأمر من اللـــه ، ولذا فأسرار الدين لايعرفها الا هؤلاء الائمـة ولهم أن يطلعوا عليها من يستحق فحسب .

وتأولت الاسماعيلية كل ما جاء فى القرآن ، وكل فريضة من فرائض الدين . ومن أشهر تأويلاتهم أن الجنة ما هى الا نعيم الدنيا ، وما العذاب الا شقاؤها ، وأن الصـــلاة فى حقيقتها هى موالاة الامام ، والحج هى زيارة الامام ، والصوم ما هو ألا الامساك عن افشاء سر الامام وهو ليس أبدا الامساك عن الطعام كما يعتقد بعض المسلمين . ومن تأويلاتهم التى لايفشونها تأويلاتهم لمعانى حروف الهجاء فى أوائل السور كقوله « ألم » و « طس » و « طــه » و « كهيعص » ولما جــاء فى القـرآن من أن أبواب الجنة ثمانية بينما أبواب النار سبعة .

ولم يعرف الاسماعيلية حدودا للتأويل فحتى الله جعلوا له تأويلا فى مذهبهم ، وهو تأويل فلسفى متأثر بالفلسفة الافلاطونية والافلاطونية المحدثة . فالله عندهم ليس هو الخالق ، وقد جردوه من كل صفاته المذكورة فى القرآن ونزهوه كل التنزيه زاعمين ان نفى المعرفة هو حقيقة المعـرفة

وسلب الصفة هو نهاية الصفة · نفوا عن الله تعالى كل أسمائه الحسنى التى نسبها لنفسه وجعلوها للعقل العلى فوضعوه بكل صفات الكمـــال الالهية · وهم فى هذا لا يختلفون فى شىء عن الفلاسفة اليونان وخاصة الافلوطينيين منهم القائلين بالفيض · ان العقل الكلى عندهم أصبح هـو « المبدع الاول » وهو المكان السابق والروح الاول وهو الذى رمز اللـه له فى القرآن بكلمة « القلم » فى الآية « نون والقـلم وما يسطرون » وصفة العقل الاساسية هى العلم · والعقل يخلق بدوره النفس الكلية وصفتها الاساسية هى الحياة وهى التى رمز اليها فى القرآن « باللوح المحفوظ » · وبمـا أن العقل الكلى هـو الأول والسابق فالنفس الكلية هى التـالى · والنفس هى التى تنتج المـادة الاولى التى تخلق الكوكب والارض وهى سلبية وتتقبل تأثير الصور الموجودة أصلا فى العقل الكلى · وبالاضافة الى العقل والنفس الكليين هناك أيضا موجودان ضروريان وأوليان وهما المكان والزمان · وبفضل هذه الكائنات الخمس يوجد كل ما فى الكون · ومن الواضح تماما أن نظـرية الاسماعيلية فى الوجود تكاد تكون هى تأويل دينى لهذه النظرية الفلسفية اليونانية · وذهب الاسماعيلية الى أن الخلاص للانسان لا يكون الا باكتساب العلم الذى هو صفة العقل الكلى ، ولم يحدث ذلك الا للنبى محمد (ص)فهو الناطق أو هو تجسيد العقل الكلى، أما خلفاؤه الائمة فهم المتأولون لما نطق به محمد وبالتالى هم أيضا بشكل ما تجسيد للعقل الكلى ويتصفون بكل صفاته أى بكل صفات الله الحسنى· والعقل الكلى عندهم هو الواحد الصمد المنتقم الجبار ! ولم يستطعوا ، وهذا بدهى ، أن يصرحوا بمثل هـذه التأويلات للعامة أو للمستجدين فأخفوها ولم يصرحوا الا بما لا يخالف منها العقائد السائدة فى البيئة فمثلا كانوا فى مصر لا يظهرون الا ما لا يخالف مذهب الشافعى ومذهب مالـك ·

ويتضح مما سـبق أن الاسماعيلية مزجت ووفقت بين العديد من الآراء الفلسـفية والديانات والعقائد فجاءت نسـيجا فريدا بين العقائد الاسـلامية الشيعية · اخذت عن الفلسـفة الفيثـاغورية جعلها الاعداد هى أصـل الوجود وصبغت هذه الفكرة بصبغة اسـلامية وجعلت الواحد الفيثاغـورى هـو العقـل الكلى ، والاثنين همـا العقـل والنفس

أى القلم واللوح ، أما الثلاثة فتتكون من محمد وعلى وفاطمة ، والخمسة عندهم هى القلم واللوح وميكائيل واسرافيل وجبريل • وتأولوا هؤلاء الخمسة فأصبحوا محمدا وعليا وفاطمة والحسن والحسين أى الامام والحجة والداعى والمأذون والمكاسر • تأولوا الاعداد اذن فجعلوا لها ما يقابلها من الدين • وتأثرت الاسماعيلية بنظرية المثل الافلاطونية التى تقول بأن العالم الحسى ما هو الا شبح أو ظل للعالم المثالى فذهبت الى أن لكل ظاهر باطن وأن الأول يدل على الثانى • وقد اتضح لنا أن فكرة الباطن شغلت حيزا كبيرا فى فكر هذه الفرقة • كما تأثرت الاسماعيلية بالافلاطونية المحدثة فكما ذهبت الافلاطونية المحدثة الى العالم خلق بواسطة اللوغوس (الكلمة) ذهبت الاسماعيلية الى ان العالم خلق بواسطة كلمة « كن » كما جاء فى الآية « انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون » • وتأولوا حرفى كلمة كن ، فادعوا أن حرف الكاف يرمز الى القلم أو العقل الكلى ، بينما يرمز حرف النون الى اللوح أى الى النفس الكلية •

وتتمثل خطورة هذه النظرية فى اختلاف التأويلات باختلاف الائمة ودعاتهم • فمثلا كانت التأويلات فى فارس غيرها فى المغرب • ولقد حرص الفاطميون لتفادى هذا الاختلاف والتباين الى الاعتدال فى التأويل • أما الاسماعيلية النزارية أو الشرقية فقد اعتنقت هذه النظرية وعملت بها ، ولذا استحقت لقب الباطنية الذى أطلقه عليها المؤرخون القدامى • ويذهب بعض المحدثين من المؤرخين المتحمسين للفكر الاسماعيلى الى أنه من الخطأ الاحتفاظ بلقب الباطنية كاسم للاسماعيلية لأن هذه الفرقة أخذت بالباطن كما أخذت بالظاهر تماما ، بل كفرت غيرما يذهبون كل من اعتقد فى الباطن دون الظاهر • ويبدو لنا أن هذا يصدق على الاسماعيلية الغربية دون الاسماعيلية النزارية التى أعلنت من شأن الباطن الى حد كبير ولذا استحقت فى رأينا هذا اللقب للتمييز بينها وبين غيرها من الفرق •

أما اذا أردنا الحديث عن تأثر الاسماعيلية بالديانات القديمة لقلنا انها أخذت عن الديانة المصرية القديمة قولها بانتقال روح فرعون بعد الموت الى العالم العلوى لتصبح من الآلهة المتحكمة فى العالم • أخذت الاسماعيلية هذه الفكرة وحورتها قليلا فجعلت روح الامام تصبح بعد

وفاته ملكا أو عقلا من العقول الروحانية المدبرة لعالم الكون والفساد ٠ وربما تكون الاسماعيلية قد استفادت كذلك من محاولة القديس اوغسطين تأويل الكتاب المقدس تأويلا باطنيا واعترافها بصلب المصيح وهو مايخالف التأويل السنى لما جاء فى القرآن بشأن هذا الأمر ٠ وفى مصر الفاطمية كان الداعى الفيلسوف الاسماعيلى الشهير احمد حميد الدين الكرمانى يستشهد بآيات من التوراة والانجيل ويتأولها تأويلا يتفق مع العقيدة الاسماعيلية ٠

وبالرغم من أن عقيدة الاسماعيلية وفكرها هما مزيج من العقيدة الاسلامية والديانات القديمة والفلسفات اليونانية المختلفة مما كنا نتوقع معه أن تكون تلفيقا لايقبل عليه العامة الا أن تاريخها يثبت لنا عكس ذلك! فقد اقامت الاسماعيلية الدول ولعبت دورا خطيرا فى الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية فى مختلف البلدان التى انتشرت فيها بحيث لايمكننا انكار اثرها فى الحضارة الاسلامية العربية ٠ اما كيف كان لهذه الدعوة أو العقيدة كل هذا التأثير بالرغم من خروجها الصريح على الاسلام فهذا أمر آخر والبحث فيه ليس مجالنا الآن ٠

٥ ـ مصادر التأريخ للاسماعيلية :

وتعنى بهذه المصادر المصادر الأولى سواء اكانت تلك التى تتناول المذهب الاسماعيلى من حيث هو عقيدة أم تتناوله من حيث تاريخه ٠ وقبل أن نبدأ بذكر هذه المصادر نلفت النظر الى أن العقيدة الاسماعيلية تطورت وفقا لتطور الاحوال الاجتماعية والسياسية عبر التاريخ ، كما أنها اختلفت من مكان الآخر ٠ ولتوضيح ذلك نقول ان الاسماعيلية اخذت بالتأويل الباطنى الذى من شأنه مهما كان الالتزام بالقواعد المنهجية أن يجعل النصوص الدينية والأمور العقائدية بشكل عام غير ثابتة المعنى ٠ وترتب على هذا اختلاف مصادر الشيعة الاساعيلية اختلافا بينا ٠ فالشيعة الاسماعيلية عند المؤلفين السنيين غير الشيعة الاسماعيلية عند المؤلفين الاثنى عشرية او عند المؤلفين الاسماعيليين انفسهم بل هى تختلف عند هؤلاء باختلاف زمانهم وبلادهم ٠ ولعل اشهر مصادر السنية هى « الملل والنحل » للشهرستانى و « الفصل فى الملل والنحل »

لابن حزم ، و « الفرق بين الفرق » للبغدادى ، و « مقالات الاسلاميين » لأبى الحسن الأشعرى • أما اشهر المصادر الاثنى عشرية فى هذا المجال فهى « فرق الشيعة » للنوبختى • أما اشهر تاريخ للاسماعيلية فهو « عيون الأخبار » للداعى ادريس اليمنى المتوفى عام ٨٧٢هـ ، وهو اسماعيلى العقيدة وأن كان المتخصصون فى تاريخ الاسماعيلية يرون ثغرات عديدة فى هذا المؤلف الشهير • وثمة مؤرخ آخر وهو القاضى النعمان وكتابه « افتتاح الدعوة وابتداء الدولة » يعد أعظم تاريخ للدعوة الفاطمية فى اليمن وفى شمال أفريقيا فى زمن تأسيس الخلافة • وربما يكون هذا الكتاب ما يزال مخطوطا الا أن كافة المتخصصين يعرفونه واطلعوا عليه لأهميته • وللقاضى النعمان أقوم كتاب فى الفقه المذهب الاسماعيلى ونفى به « دعائم الاسلام » •

والتأريخ لا يكون سليما اذا ما اقتصر على كتب التأريخ انما عليه ان يرجع كذلك للاعمال الفكرية التى تعكس حقيقة الفترة أو المذهب الذى يؤرخ له • ولذا فالتأريخ للاسماعيلية لن يكون سليما الا اذا وقفنا على أهم انتاجهم الفكرى وهو غزير • وأشهر وأعظم فلاسفة الاسماعيلية كان الداعى حميد الدين الكرمانى المتوفى عام ١٠١٧ وأعظم مؤلفاته « راحة العقل » و « الرياض » و « المحصول » و « الرسالة الدرية » و « الرسالة الزاهرة » و « الوديعة » و « الأقوال الذهبية » ، و « كتاب المعاد » و « تاج العقل » و « ميدان العقل » • وكلها سواء المنشور منها أو غير المنشور موجودة فى خزائن مكتبات الاسماعيلية • وللكرمانى أعمال أخرى غير هذه يخفيها الاسماعيلية ولا يطلعون احدا عليها امعانا فى السرية • وكان استاذانا د• محمد مصطفى حلمى ود• محمد كامل حسين » قد حققا « راحة العقل » ونشراه الا أن علماء الاسماعيلية يذهبون الى أن المحققين لم يفهما ما فيه من الغاز ورموز واسرار انما مرا بها مرور الكرام • ولابد من ذكر كذلك الداعى النخشبى المتوفى عام ٣٣١هـ وهو صاحب كتاب « المحصول » الذى أيده أبو يعقوب السجستانى (الذى قتل عام ٣٣١هـ) فى كتابه « النصرة فى شرما قاله الشيخ الحامد فى كتاب المحصول » • ويدعى الاسماعيلية ان من مفكريهم الفارابى وابن سينا وناصر خسرو والرازى • ومن المعروف كذلك ان اخوان الصفا كانوا من

الاسماعيلية • ويقال تفسيرا للغز مؤلفى هذه الرسائل الشهيرة ان الاسماعيلية تعرضت ، فى عهد ثانى الائمة المستورين عبد الله بن اسماعيل الملقب بالوفى والذى تولى الامامة سنة ١٩٣هـ عقب وفاة ابيه محمد بن اسماعيل ، لنقمة السلطة التى كانت تتعقبهم لابادتهم • وكرد فعل لهذه الحملة اجتمعت طائفة من العلماء الاسماعيليين والفوا اثنتين وخمسين رسالة فلسفية عرضوها على الامام الوفى فسماها « رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء » • ويقال ان هذا الامام لما لاحظ حسن تعبيرها عن فلسفة الشيعة لخصها فى رسالة واحدة سماها « رسالة الجامعة » • ويقال أيضا أن الخليفة المأمون اطلع على هذه الرسال فاشطاط غضبا وامر بالبحث عن مؤلفيها الا أن كل جهوده ذهبت سدى اذ كانوا قد امنعوا فى التخفى والتستر • ولقد تمكن بعض الباحثين من العثور على أسماء بعض مؤلفى رسائل اخوان الصفاء من بعض المخطوطات الاسماعيلية السرية نذكر منهم ابا سليمان محمد بن معشر البستى المعروف بالمقدسى وأبا حيان التوحيدى (!) والسجستانى وأبا سفيان وابا الحسن على بن هارون الزنجانى •

وفى رأينا ان الاسماعيلية جاءوا بدعوة هزت علماء الاسلام السنى هزا عنيفا فهاجموها بضراوة فقام علماء الاسماعيلية بدفع هذه الاتهامات فتولد عن هذا الجدل الفكرى ثروة فكرية هامة تستحق المزيد من الدراسة فى وقتنا الحالى من جانبنا نحن اهل السنة •

الخــــــاتمة :

تدور عقيدة الشيعة الامامية سواء اكانت اثنى عشرية أم اسماعيلية حول فكرة الامامة بشكل عام ونظرية المهدى المنتظر بشكل خاص • وتلك العقيدة فيما نرى ما هى الا موقف فلسفى من التاريخ سواء أكان فى ماضيه أم فى مستقبله ، بل يمكن أن يعد نظرية فى فلسفة التاريخ لا تخلو من الطرافة ولا القيمة • فهى صياغة لأمل فى مستقبل افضل ، مستقبل يسوده العدل • ان الشيعة الامامية برفضهم للخلفاء الراشدين الثلاثة السابقين على على بن أبى طالب وبرفضهم لكل من الدولة الأموية فالدولة العباسية من بعدها ، وفى جعلهم هذا الرفض عقيدة ثابتة ، انما يرفضون

الواقع كما يرفضون مسـار التـاريخ كله فى المـاضى ، والتـاريخ واقع لا يرفض ! اما الاصرار على التبشير بمستقبل بعينه يثقون به كل الثقـة وينتظرون تحقيقه فهو اصرار يوتوبى لا يقوم فيما نرى الا على الحقوق الشرعية لعلى بن أبى طالب كما يتصورونها ، تلك الحقوق التى تتمثل فى خلافة الرسول · لقد تجاهلوا أن التاريخ لا يعود للوراء ليعطى لأصحاب الحق حقوقهم ، وان عليا اذا كان لم يصبح خليفة لرسول الله الا بعد أبى بكر وعمر وعثمان بن عفان فان ذلك لا يبرر اصرارهم على رفض ما حدث خاصة أن ما حدث كان بناء على شورى المسلمين جميعا وليس اغتصابا لحقوق على من قبل أفراد · وفى رأينا ان الدعـوة الشيعية لم يكن همها ابدا فرض نفسها كعقيدة خالصة انما كان همها وهدفها دائما الاستيلاء على السلطة ، ولذلك كان لها ظاهر وباطن ، فهى فى الظاهر عقيدة وفى باطنها خداع للناس واستغلال لهم لتحقيق المـآرب · ولعل الغزالى كان محقا تماما عندما وصف هذا المذهب « بانه مذهب ظهره الرفض وباطنه الكفر المحض ومفتاحه حصر مدارك العلوم فى قول الامام المعصوم وعزل العقول عن أن تكون مدركة للحق لمـا يعتريها من الشبهات » ·

المراجـــــــع

- ابن خلدون : المقـدمة ـ المطبعة الادبية · بيروت سنة ١٨٨٦ ·

- د· أحمد محمود صبحى : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ـ دار المعـارف ١٩٦٩ ·

- الاشعرى (أبو الحسن) : مقـالات الاسلاميين واختـلاف المصـلين جزءان ـ تحقيق ريتر ـ استانبول سنة ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠·

- الايجى (عبد الرحمـن بن احمد) : المـواقف ـ طبـع ونشر ابراهيم الدسوقى عطية ـ القاهرة ١٢٥٧ ·

- بروكلمـان (كارل) : تاريخ الادب العربى ـ ترجمـة د· عبد الحليم النجـار ـ الجـزء الثالث سنة ١٩٦٢ ·

- البغدادى (أبو منصور القاهر) : الفـرق بين الفـرق وبيان الفـرقة الناجيـة منهم ـ تحقيق محمد بدر ـ مطبعة المعـارف سنة ١٩١٠ ·

- د· حسن ابراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطميـة ـ طبعـة ثانيـة ـ النهضة المصرية سنة ١٩٥٨ ·

- حميد الدين الكرمانى : راحة العقـل ـ تحقيق د· محمد كامل حسين ود· محمد مصطفى حلمى ـ القاهرة ١٩٥٢ ·

- الشهرستانى : الملل والنحـل ·

- العاملى (محمد السيد محسن الأمين الحسينى) : أعيـان الشـيعة ـ مطبعة الترقى ـ دمشق ١٩٣٦ ·

- العاملى (محمد حسين) : الشيعة فى التاريخ ـ مطبعة العرفان ١٩٣٨ ·

- فلهاوزن (يوليوس) : أحزاب المعارضة السياسية والدينية فى صدر

الاسلام ـ ترجمة د٠ عبد الرحمن بدوى ـ النهضة المصرية سنة ١٩٥٨ ٠

ـ الغزالى (أبو حامد) : فضائح الباطنية ـ تحقيق وتقديم وتحليل Ignaz Goldziher E. J. Brill — leiden 1916

ـ محمد الحسين آل كاشف غطاء : أصل الشيعة وأصولها ـ الطبعة السابعة ـ النجف ١٩٥٠ ٠

ـ د٠ مصطفى غالب : تاريخ الدعوة الاسماعيلية ـ الطبعة الثالثة ـ دار الاندلس ـ سنة ١٩٧٩ ٠

ـ مغنية (محمد جواد) : مع الشيعة الامامية ـ مطبعة العرفان ـ صيدا الشيعة فى الميزان ـ دار الشروق ٠

ـ نوفل افندى نوفل : كتاب سوسنة سليمان فى اصول العقائد والاديان ـ طبعة رابعة ـ المطبعة الامريكية فى بيروت سنة ١٩٢٢ ٠

De Vaux : Le Mahométisme. Le génie sémétique et le génie aryen dans l'Islam — Paris 1897.

Les pensurs de l'Islam-tome V-Paul Geuthner — Paris 1926.

Goldziher (I) : Le dogme et la loi de l'Islam-traduction de Félix Arin-Paul Geuthner 1920.

Guyard (S): Fragments relatifs à la doctrine des Ismaléiens-Paris 1874.

Ivanow (W) : A guide to Ismaili literatur — Royal asiatic society 1933.

Lewis (B) : The origins of Ismailism-Cambridge 1940.

Nicholson (R.A.) : A literary history of the arabs — Unwin Ltd. London 1923.

الفصل الثانى

الزيـــــــــدية

١ – زيد بن على بن الحسين مؤسس الزيدية وآراؤه المذهبية :

تنسب الزيدية الى زيد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ٠ وهى تقابل الامامية وتمثلان معا أكبر فرق الشيعة التى مازالت باقية حتى اليوم ٠ وبقدر ما عرف عن الامامية من تطرف بقـدر ما عـرفت الزيدية بالاعتدال الذى يجعلها اقرب فرق الشيعة الى اهـل السنة ؛ وربما يكون السبب فى ذلك سعة ثقافة وغزارة علم مؤسسها زيد ومحاولته الرجوع الى الاصول الاسلامية الأولى التى ارساها الرسول وتمسك بها جده على بن أبى طالب ٠

ولد زيد كما جاء فى مقدمة كتابه الشهير « المجموع » عام ٧٥هـ وان كان معظم المـؤرخين يجمعون على انه توفى عـام ١٢٢هـ وله من العمـر اثنين واربعين عاما وبذا يجعلون مولده عام ٨٠هـ ٠ وامه امة سندية كان المختار الثقفى قد اهداها الى ابيه على زين العابدين ٠اما ابوه على زين العابدين فهو الوحيد من بين أولاد الحسين بن على الذى بقى على قيـد الحياة بعد فاجعة كربلاء اذ كان مريضا وقتها فلم يحضر تلك المعـركة ٠ والتقى على زين العابدين بالامامة الروحية بعد ان رأى ما أصاب اهـله بسبب المطالبة بالامامة السياسية ٠ أما ابنه زيد الذى اتصل بعلماء العراق على اختلاف اتجاهتهم والذى زامل واصل بن عطاء مؤسس المعتزلة فقـد ادرك الرسالة التى عليه أن يحققها وهى اعلان الرأى والمطالبة بالحق ، ولذا خرج فى الكوفة غير منصت لرأى اخيه محمد الباقر الذى حـاول أن يثنيه عن الخروج ، خاصة اذا كان ذلك بين أهل الكوفة وهم أهل غدر ومكر ، وقد خذلوا جدهما على وقتل بها الحسين ٠ ويذكر بعض المؤرخين أن محمد الباقر تنبأ لأخيه بمصيره ، أى أنه تنبأ بصلبه بكناسة الـكوفة ان هو خرج ٠ حمل زيد السلاح هو وانصاره فـكان اماما بالمفهوم الذى

اعطاه هو للامامة كما سيتضح بعد قليل ، وبذا اصبح فى عهـده امامان هو والامام الاثنا عشرى جعفر الصادق ابن اخيه محمد البـاقر ٠ بعـد جهد طويل استطاع عامل الكوفة يوسف بن عمر الثقفى أن ينتصر عليـه واستشهد زيد فى الثالث من محرم عام ١٢٢هـ على اثر اصابته بسهم فى جبهته ٠ دفنه ابنه يحيى فى ساقية ماء حتى لا يعرف الاعداء مكانه ، ولكن الامـر تسرب واستخرجه يوسف بن عمـر وبعث برأسـه الى هشـام بن عبد الملك الخليفة الأموى فى دمشق ، أما جسده فقد صلب عريانا بأمر من الخليفة ، وبقى مصلوبا خمسين شهرا فى كناسة الكوفة حتى جاء الوليد ابن زيد ابن عبد الملك وخرج يحيى بن زيد بخراسان مواصلا دعوة أبيـه فأمر هذا الخليفة عامله بالكوفة ان يحرق ما تبقى من جسـد زيد ففعل ، وذر رماده فى الفرات ! وقد سخر احد شعراء بنى أمية من زيد ودعـوته عندما راه مصلوبا قائلا :

صلبنـا لـكم زيدا على جـذع نخـلة
ولم أر مهـديا على الجـذع يصلب

كان زيـد اول من حـاول من آل البيت بعـد كارثة كـربلاء انتزاع الامامة من الأمويين اذ خـرج الى الناس حـاملا فـكرة ٠ اهتم بمشاكل عصره واتخذ فيها موقفا ايجابيا هو موقف التوجيه والبيان ٠

وقـد اجمع الذين عاصروا الامام زيد على انه كان عالما غزير العلم محيطا بشتى العلوم الاسلامية فهو عالم بكل علوم القرآن من تفسير وعلم بالناسخ والمنسوخ كما انه عالم من علماء العقائد وله آراء تعد من تفسير العقائد الاسلامية ، كما كان ملما بمقالات الفرق المختلفة فى هذه العقائد٠ تتلمذ عليه شيوخ الفقـه بالـكوفة حتى انه ليروى ان ابا حنيفة كان من تلاميذه ٠ وكثير من المؤرخين يذكرون أن أبا حنيفة كان على بيعة الامام محمد بن عبد الله وأن حافظ على بيعته هـذه وسجن بسببها حتى جاءته المنية .وهو بحبسه اخلاصا منه للمذهب الزيدى ٠

وتعليلنا لسعة معارف زيد أنه نشأ فى بيت علم فقى عصره كان فى هـذا البيت اربعـة ائمة فى العلم والفقه هم والد زيد نعنى به على زيد العابدين ، وأخوه محمد البـاقر وكان يكبره كما كان أستاذا له من بعـد أبيهما ، وجعفر الصادق ابن محمد الباقر أى ابن أخيه وكان فى سن زيد ،

وعبد الله بن حسن وكان فى مثل سنة كذلك · كما ان السبب فى سعة علم امامنا هو زياراته العديدة للعراق منبت الفرق والأرض التى ظهرت فيها الفلسفة الاسلامية ذات الأصول المتنوعة · ولعل زيد قد تأثر بالمعتزلة اكثر من غيرها من الفرق · ويعلل بعض الباحثين ذلك بأن واصل بن عطاء · كان زميلا لزيد ، بينما يعلل البعض الأخر نفس الأمر بأن زيدا كان تلميذا له ؛ ويجد فـريق ثالث حلا وسطا لهـذه المشـكلة فيذهب الى ان مذهب المعتزلة ما هو الا مذهب السلف من آل البيت ، وهو ما ارتد اليـه زيد ، والى ان واصلا مؤسس الاعتزال تلقى مذهبه عن أبى هاشم ابن محمد بن الحنيفة أى عن حفيد على بن ابى طالب ·

وفى عهد محمد الباقر تشعب البحث فى علم الكلام ، وظهرت أراء المعتزلة العقلية وكثر الجدل حول الذات الالهية وصفاتها ، وماهية الروح ، فشـارك البـاقر فى البحث فى ذلك كله وان ابتعـد عن البحث فى الذات الالهية معللا ذلك بأن هذا أمر يفوق مستوى عقول البشر ، واكتفى الباقر بالاهتمام بهذه الأمور الفكرية كما اكتفى بالامامة الروحية للشيعة مبتعدا عن المشاكل السياسية متبعا فى هذا سنة ابيه على زين العابدين · ولهـذا شعر كثير من الشيعة بحاجتهم الى امام قوى من آل البيت يخرج بنفسه كما فعل على والحسين ووجدوا بغيتهم فى زيد بن على زين العـابدين · ومن هنا كان الانشقاق فى الرأى بين الشيعة الى امامية وزيدية ·

وقد حدد زيد لـما خرج للجهاد دعوته أو قضيته بقوله : « انى ادعو الى كتاب الله وسنة نبية واحياء السنن واماتة البدع فان تسمعوا لـكن خيرا لكم ولى ، وان تأبوا فلست عليكم بوكيل » · وهذه الدعوة المحـددة الصريحة هى التى جعلت أهـل السنة يعتبرون الزيدية اقـرب اليهم من جميع فرق الشيعة الأخرى · ويعد زيد بدعوته هذه من كبار ثوار الاسلام ومن أوائل مفكريه السياسيين الذين التزموا باصول الاسلام دون مغالاة أو شطط · وبخروجه اصبح زيد اماما وبذا اصبح هنـاك امامان فى آن واحد : زيد منجهة ، وإمام الامامية منجهة اخرى ، مما اثار مشكلة لهاتين الفرقتين · وحلت الامامية هذه المشكلة حـلا غريبا اذ رأت ان زيدا كان لا يمكن ان يخرج طالبا ما ليس له حق فية وانما خرج داعيا الى العـلوية بشكل عام ، لو قـدر له النجـاح ، وبقى على قيد الحيـاة لدعا للامام

الحقيقى وهو جعفر الصادق امامها هى ٠ ومن أجل هذا فهى تجله وتجل جهاده ٠ أما الزيدية فيقررون ان زيدا كان اماما ولذلك خرج يدعو لنصرة الحق ،وان الامامة كانت من حقه لأنه كان أكبر من الامام جعفر الصادق ابن أخيه الذى آلت اليه الامامة بينما كان هو الاحق بها لكونه عميدا لآل الحسين بعد أخيه محمد الباقر ٠

وكما كان زيد رجل دعـوة وجهاد كان رجل فـكر ، ويؤكد الزيديه انه كان أول من دون الفقه وصنف أبوابه ، ويذهبـون الى انه ألف كتاب « تفسير الغريب » و « كتاب الحق » و « كتاب المجموع فى الحديث » الذى يضم اراءه فى الخلافة والطريق الامثل فيها ٠ وله « المجموع فى الفقـه » وهـو تدوين للفقه المـروى عن آل البيت ٠ وهـذان الـكتابان الأخيران هما عماد الفقه الزيدى وقد جمعهما أبو خالد عمرو بن خالد الواسطى ، وهما مطبوعان حاليا فى كتاب واحـد تحت عنـوان « المجموع ـ مسند الامام زيد بن على زين العابدين بن الحسين السبط ابن الامام وهو ما رواه عن أبيه عن جده » ٠ وقد صدر فى القاهرة عام ١٣٤٠هـ ٠ والكتاب يتوقف فى رواياته عند على بن أبى طالب ولا يروى شيئا عن سائر كبار الصحابة، مع أن زيدا لم يطعن فى الشيخين مثل بقية الشـيعة مما يجعـل البعض يتشكك فى صحة نسبة هذا الكتاب الى زيد خاصة وان عصر التدوين بدأ بعد وفاته ٠

وهناك رسالة تنسب لزيد نقلها المرتضى فى « المنية والأمـل » على انا صورة لرأى ائمة آل البيت ومنهم الامام زيد وهى فى الحقيقة تمثـل اراء المعتزلة ٠ تستنبط من هذه الرسـالة ثلاثة مبـادىء ٠ أولهـا ان الايمان بالقضاء والقدر لايمنع حرية العبد كما لايمنع تحقق سلطان اللـه بالكامل ؛ وثانيها أن الله قد أودع الانسان قدرة على الفعل الاختيارى . فالانسان يفعل بقوة أودعها الله اياه ٠ وثالثها ان مشيئة العبـد ليست مخالفة لمشيئة الله تعالى فالله لايعصى ٠ وهذه الآراء على كل هى بالفعل اراء الامام زيد ٠وبوجه عام يمكنا القـول أن الدراسة النقدية لكتابات زيد بصورتها الحالية تظهر تعارضا بين ما جاء فيها سواء فى الناحية

السياسية أم الفقهية أم الكلامية وبين ما أعلنه زيد من مبـادىء ، ويبدو أن الزيدية عدلوا فى كتابات أمامهم على مـــر العصور مما سبب هــذا التعــارض ٠

٢ ـ نظرة تاريخية على الزيدية :

وبعد وفاة زيد تحركت الشيعة بخرسان فكثر انصاره بها مما سمح لابنه يحى أن يخرج فى زمن الوليد بن يزيد بالجوزجان فى خراسان منكرا الظلم والجور وداعيا لنفس فـكرة أبيه وكان ذلك فى سـنة مائة وخمس وعشرين هجريا ، ويقال فى أوائل العــام التالى ٠ واستشهد يحى بدوره فى قرية أرغونة ٠ وقبره ما يزال موجودا ٠ وقد صلب هو أيضا ، ويقال انه ظل مصلوبا الى أن خـــرج ابو مسلم الخراسانى صاحب الفضل على الدولة العباسية فانزل جثته وصلى عليهـــا ودفنهـــا ٠ وبعد يحيى ظهر الامامان محمد بن عبد الله بن الحسن واخـــوه ابراهيم وكانت اراؤهما تتلاقى مع اراء الامام زيد ٠ أطلق محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية على نفسه لقب المهدى المنتظر ولعله قصد أن يدعو الى الهداية الاسلامية اذ أن فكرة المهـدى المنتظر مرفوضة عند الزيدية ٠ وقـــد خـرج محمد وأخوه أبراهيم فى بدء عهد الدولة العباسية عند ما اشتعل النزاع بينهما وبين آل البيت ، خرج محمد النفس الزكية بالمدينة بينما خرج أخوه ابراهيم بالبصرة بعد أن التف حوله أهل فارس والأحـواز من الـزيدية بل والتف حوله بعض المعتزلة ، واستشهد الاثنان الاول فى البصرة بينما استشهد الثانى هو وعيسى بن زيد بالقرب من الكوفة ٠ وذهب بعض الزيدية الى أن الامام بعد محمد بن عبد الله هو محمد بن القاسم بن على بن عمر ، وعمر هو أخو زيد بن على ، فخرج محمد بن القاسم هذا بالطالقان فقبض عليه وسيق الى المعتصم فحبسه ومات بحبسه ٠ بينما ذهب آخرون من الزيدية الى أن الامام بعد يحيى بن زيد هو أخوه عيسى الذى استشهد مع ابرهايم كما سبق ان بينما ولذا جعلوا الامامة فى عقبه ٠ وذهب فريق ثالث من الزيدية الى أن الامام بعد محمد بن عبد الله هو أخوه ادريس الذى فـر الى المغرب ومات هناك فقـام من بعده ابنــه ادريس فانشأ فاس واصبح نسله من بعده ملوكا للمغرب فهم الادراسة الذين استمروا الى أوائل القرن العاشر ٠ ونجح الزيدية فى اقامة دولة طبرستان جنـوب بحرقزوين التى

استمرت حتى عام ٥٢٠هـ أو ١١٢٦م · أما أشهر دولة أسسها الزيدية فهى دولتهم فى اليمن التى انشأها الهادى للحق يحيى بن الحسين الذى سمى بالامام المهدى وهو حفيد القاسم الرسى · ومازال المذهب الزيدى سائدا هناك حتى اليوم ، أما دولة الزيدية فقد انتهت فيها بثورة اليمن فى سبتمبر ١٩٦٢ تلك الثورة التى خلعت آخر أئمة أسرة حميد الدين ونعنى به الامام المنصور بالله محمد البدر · ولقد عم المذهب الزيدى كل الاقطار الاسلامية ـ باستثناء المغرب ـ وذلك لآنه على أثر استشهاد الامام زيد تفرق تلاميذه وآل البيت فى الأمصار المختلفة فأصبح لهم أتباع فى كل مكان · ولم ينتشر تلاميذ الامام زيد وآل البيت بناءا على خطة انما فرارا من الاضطهاد العباسى ثم الفاطمى الاسماعيلى ·

٣ ـ نظرية الامامة :

هناك جانبان تختلف فيهما فرقتا الاثنا عشرية والاسماعيلية من جهة والزيدية من جهة أخرى · أما الجانب الأول فهو جانب ظاهرى يتمثل فى اختلاف الفريقين فى تحديد أشخاص الأئمة بعد الحسين ابن على ، وأما الجانب الثانى فهو عميق ومذهبى ويتمثل في اسلوب المعارضة السياسية للنظام القائم · فبينما ساقت كل من الاثنى عشرية والاسماعيليه الامامة فى ذرية الحسين فقط وان اختلفتا بصدد سابع الأئمة ، وتمسكت كل منهما باصرار بمبدأ التقيه ، جعلت الزيدية الامامة لكل من يخرج بالسيف · ومعنى هذا أنها لم تلتزم بتسلسل بعينه فى الامامة وان قصرتها بالطبع فى ذرية السبطين الحسن والحسين ؛ والتزمت بشرط واحد وهو الخروج بالسيف أى اعلان المقاومة والمعارضة وطرح مبدأ التقيه بعيدا · وشرط الخروج بالسيف هذا هو الذى يمثل اسلوبها فى المعارضة الذى تميزت به من سائر فرق الشيعة الملتزمة بالتقيه خوفا من بطش الدولة الحاكمة بعد مذبحة كربلاء ، أما الزيدية فقد جسرت على اعلان مقاومتها بل جعلت هذا الاعلان هو الشرط الأساسى للامامة ·

رأى زيد أن النبى عرف على بالوصف لا بالشخص وان اشارة النبى لاتمنع جواز اختيار غيره ، فعلى أفضل الصحابة ومع هذا اختار الصحابة أبا بكر ومن بعده عمر لمصلحة رأوها فى اختيارهما اذ كان

عهد حروب النبى مازال ماثلا فى الأذهان ومازالت ذكرى من قتلهم على فى تلك الحروب من أبناء قريش نابضة ، فكان من الصعب أن يجمع عليه الجميع ، وكان يمكن لاختياره أن يثير فتنة بين المسلمين ؛ ولذا كان من الأفضل اختيار غيره · جوز زيد اذا اختيار المفضول اماما مع وجود الأفضل والمعيار هنا هو مصلحة الأمة أى هو معيار نفسى وعملى وواقعى مما يجعل الزيدية تختلف اختلافا بينا عن سائر فرق الشيعة · ومعنى هذا أن زيدا أنكر النص الجلى على على ، أى أنكر أن تكون ثمة وصية أو مايشبه الوصية لعلى · وعلى عكس سائر الشيعة ذهب زيد الى أن الشيخين أبا بكر وعمر خليفتان شرعيان وهذه المقالة علامة مميزة جدا له ولمذهبه · وقد أخذ عليه الشيعة من مناصريه هذا الموقف اذ من الممكن ـ التزاما بهذا المبدأ وهو جواز امامة المفضول مع وجود الأفضل ـ ألا يعتبر بنو أمية مغتصبين للخلافة من آل البيت ، ولذا انفصلوا عنه وسموا بالرافضة · ويحكى أن أصل هذه التسمية هو أن هؤلاء جاءوا الى زيد وطلبوا منه أن يتبرأ من أبى بكر وعمر حتى يبايعوه فقال : بل أتبرأ ممن تبرأ منهما · فقالوا : اذن نرفضك فسموا بالرافضة من يومئذ · أما عثمان فقد توقف زيد بصدده ولم يذكر أكانت امامته فى مصلحة المسلمين كامامة الشيخين أم لا · وتعد آراء زيد هذه تصحيحا للعقائد الاثنى عشرية التى كانت سائدة بصدد الامامة داخل نطاق التشيع فى زمن زيد ·

وللامام شروط رآها زيد أهمها عدم النص على الامام ، فالامامة ليست بالوراثة ومن الأفضل أن يكون الامام علويا سواء أكان من نسل الحسن أو الحسين ، وثانيهما أن يحقق صالح الأمة · وعلى هذا يجوز اختيار عقلاء الأمة للمفضول وتركهم للأفضل لو كان فى ذلك صالح للأمة ، وثالثها أن يخرج الامام شاهرا سيفه مجاهدا من أجل دعوته · ويتضح من الشرطين الأولين أن الزيدية ليسوا مثل بقية الشيعة الذين يعتقدون فى انتقال الامامة فى سلالة الحسين بن على بن أبى طالب بالضرورة ، بل هم يعتبرون كل علوى لديه الامكانات الروحية ليكون زعيما بصرف النظر عن انتمائه لسلسلة بعينها من الأئمة وتوافق عليه الجماعة هو لامام · ونظرا لتمسك الزيدية بهذين المبدأين لم يعتبرهم

الامامية من فرق الشيعة كما لم يعتبرونهم كذلك لا من السنة ولا من الخوارج • فالزيدية ليسوا من السنة ولا من الخوارج لأنهم حصروا الامامة فى ولد فاطمة ، كما أنهم ليسوا من الشيعة لأنهم لايوجبون النص على الخليفة وما اشتراط اختيار عقلاء الأمة للامام أى اشتراط الشورى فى الخلافة الا المبدأ الذى ارتضاه على وقبل نتائجه أى أنه قبل أن يتولى الخلفاء الراشدون الثلاثة الخلافة قبله •

ومع أخذ زيد بمبدأ جواز اختيار المفضول مع وجود الأفضل فقد رفض تطبيق هذا المبدأ الا فى حالة تحقيقه لمصلحة الأمة أما اذا لم تكن ثمة مصلحة للمسلمين فى ذلك فلا يجوز تطبيقه • فمثلا رفض زيد امامة معاوية لأنه لا مصلحة للاسلام وللمسلمين فى ذلك ، كما رفض خلافة هشام بن عبد الملك وترك محمد الباقر أو تركه هو (أى زيد) • أى أنه جعل تقديم المفضول على الأفضل مشروطا بتحقيق تلك الولاية لمصلحة المسلمين• وما هذه المبادىء فى الامامة الا رد فعل للوسائل المتعسفة وللعقائد المسرفة فى الخيال وفى الغلو التى كانت تلجأ اليها الامامية لاثبات النص الجلى على الامام •

أما الشرط الثالث وهو ضرورة أن يكون الامام مجاهدا وعاملا فاعلا فهو دليل على خروج زيد على الموقف السلبى الذى التزم به أئمة الاثنى عشرية من قبله باكتفائهم بالامامة الروحية ويجعلهم الامامة فى الأعقاب بطريقة آلية دون اعتبار لقدرات الامام الشخصية التى تتطلبها اقامة دولة الحق • الامامة أصبحت اذن عند الزيدية سياسية بينما هى روحية أساسا عند سائر فرق الشيعة • وعندما كان زيد يناظر أخاه محمد الباقر فى مسألة ضرورة خروج الامام نبهه الباقر الى أن هذا المبدأ لو طبق لكان أبوهما زين العابدين ليس اماما لأنه لم يخرج • قال له الباقر : « على قضية مذهبك والدك ليس اماما » • وتطبيقا لهذا المبدأ الخطير ذهب الزيدية الى القول بامامة على والحسن والحسين ولم يقولوا بامامة زين العابدين لأنه لم يقم بالسيف ، بينما قالوا بامامة ابنه زيد صاحب المذهب •

ونظرا لأخذ الزيدية بمبدأ ضرورة الخروج رفضوا مبدأ التقية الذى التزم به أهل البيت بعد مقتل الحسين والذى صار من عقائد الشيعة الامامية . والتقية ببساطة هى التستر والتخفى خوفا من بطش الأعداء وعدم اظهار الدعوة الا حين تكون الظروف موائية ، وما مبدأ ضرورة خروج الامام الا شكل من اشكال مبدأ ضرورة اعلان الامام لدعوته حتى تختاره الأمة فتحارب معه لينتصران معا على الظلم والجور . أما اذا لم تشاركه الأمة دعوته فمن الطبيعى انها ستنصرف عنه فلا يعد اماما . وفى رأينا أن هذا المبدأ هو أهم مبادىء الزيدية فى مسألة الامامة اذ انه هو الذى يميزها عن بقية فرق الشيعة ، وهو الذى يجعلها مذهب عمل وثورة وتصحيح مستمر للأمور السياسية كما هو مذهب فكر وعقيدة . وقد ترتب على هذا المبدأ رفض فكرة المهدى المنتظر فالامام لدى الزيدية لابد أن يكون ظاهرا فعالا ومناضلا وليس مستترا يتحين الظروف ويكتفى بالعمل فى الخفاء ، كما ترتب عليه أيضا رفض أن يكون الامام طفلا كما كان يحدث فى بعض الأحيان عند الامامية .

أما رابع شروط الامامة عند الزيدية فهو أن يكون الامام عالما ، وقد التزم الزيدية بهذا المبدأ العظيم فالعلماء هم ورثة الأنبياء والدليل على هذا الالتزام هو هذا الكم الهائل من المؤلفات التى وضعها الأئمة الزيديون فى كل العصور . وقد ترتب على تلك الشروط جميعا أن بقى الزيدية فى بعض الحالات بدون ائمة عندما لم يكن هناك من تتحقق فيه هذه الشروط ؛ هذا بالرغم من ذهاب الزيدية الى أن نصب الامام واجب عقلا . وثمة شروط تتفق فيها الزيدية مع بقية الشيعة منها أن يكون الامام ذكرا وحرا وبالغا عاقلا ، وأفضل أهل زمانه ، وسليم الحواس والأطراف ، ولم يمارس مهنة مرذولة ، وعادلا وورعا ، وكريما ، ويحسن تصريف الأمور وعلويا مجتهدا .

ونظرا لأن الامامة عند الزيدية هى للأصلح فى المقام الأول وليست بالوراثة جوز الزيدية خلع الامام على يدى امام آخر يرى نفسه وتراه الجماعة محققا لشروط الامامة اكثر من الأول . كما اجاز زيد خروج امامين فى قطرين فى آن واحد بشرط الا يكون قد سبق احدهما الآخر من

حيث اختيار كل الأمة له ، والا كان الثانى فى هـذه الحالة باغيـا · أى اجاز خروج امامين فى قطرين فى آن واحد بشرط الا تكون ولاية أحدهما عامة والا تكون بينهما خصومة · وربما أخذ زيد بهذا المبدأ لمـا لاحظة من اتساع فى رقعة الدولة الاسلامية مما يجعل من الأصلح تجزأة الحكم مع المحافظة على مبدأ التعاون بين الحكام ، ومع مراعاة المهادنة طالمـا أنهم جميعا صالحون للحكم ويحققون مصلحة الجماعة الاسلامية ، ويكشف لنـا هذا المبدأ عن نظرة انسانية واقعية وعملية للدولة ولحكمها من جانب الامام زيد ، فما اصعب أن يكون الحكم مركزيا اذا كانت الدولة ضخمة مترامية الأطـراف ، وما أصعب أن تتفق كافة البـلاد مع تبـاين ميولها واتجاهاتها على حاكم واحد خاصة اذا كان المبـدأ المعمول به هـو مبدأ الاختيار وليس مبدأ النص والتعيين ·

٤ ـ الزيدية ومفهوم المهـدى المنتظر :

نشأت فكرة المهدى المنتظر على يدى المختار فى ادعائه أن محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب حى لم يمت وأنه يعش فى جبـل رضـوى وسينزل من علياء الجبل الى دنيا الناس هاديا ومرشدا فيملأ الأرض عدلا بعد أن امتلأت جورا وظلما · وأصبحت هذه الفكرة عقيدة عند الكيسانية ثم الامامية من بعدها وان كان لكل فرقة من فرقها المختلفة امامها المهدى المنتظر · وجوزت فرق الشيعة المختلفة الآخذه بهذا المفهوم بقاء المهديين من آل البيت عده قرون على قيد الحياة فى انتظار الموعد الذى يحـدده الله للظهور ، وعللت هذه الفرق هذا الأمر الخارق للعادة بأن الله أطال فى حياة بعض الأنبياء عدة قرون بل أن بعضهم ما يزال على قيـد الحياة فهذا أمر هو قادر عليه · وفى رأينا أن هذه الفرق اضطرت الى اللجـوء لهذه الفكرة لأن الخلافة عندها بالوراثة فى الأعقاب · فكانت اذا اختفى صاحب الحق فى الامامة ـ وقد حدث هذا لمعظم الفرق لأسباب مختلفة ـ ادعت أنه انما اختفى فحسب وأن له رجعة · وفـكرة المهـدى المنتظر أو المخلص لها جـذور فى التراث الدينى اليهـودى المسيحى وفى التراث الفـارسى ، فهى ليست من ابتـكار الشيعة بل هى دخيـلة على المفـاهيم الاسلامية فى أصالتها أى كما جاءت فى القرآن وفى السنة · وكان لابد من

امام عالم وشجاع يقوم بتصحيح هذه الفكرة ، وكان هـذا هو دور زيد الذى رأى أن الشيعة ينتمون لعلى ويدعون لآل بيته ولذا لابد أن تـكون دعوتهم متفقة مع فـكرة الامام على ذاته الذى ما كان يرتضى مثل هـذا الشـطط • وذهب الامام زيد الى أن كل فاطمى ، وعالم وزاهـد يخـرج بالسيف داعيا الى الحق لهو امام ومهدى فى آن واحد دون أن يعنى هذا انه المحرر أو المخلص المنتظر المبعوث من الله • وعلى هـذا فـكل أئمـة الزيدية مهديون • وصحيح أن الامام الذى تختاره الأمة قـد يسانده الله الا أنه يظل دائما مثـل سائر البشر ولا يختلف عنهم اختلافا جـوهريا • وما رفض زيد لمفهوم المهـدى المنتظر الا نتيجـة لمبدئه الخطير ونعنى به ضرورة خروج الامام وجهاده العـلنى • وبالرغم من رفض الامـام زيد التام لفكرة المهدوية الا أن بعض الزيدية الذين انحرفوا عن جوهر المذهب قالوا بها مثل الجارودية كما سيتضح بعد قليل • وبرفض الزيدية لفكرة المهدى المنتظر رفضوا كذلك كل ما يترتب عليها ونعنى بهـا تلك الصفات والقدرات الفـائقة للطبيعة البشرية والتى خلعها الشـيعة الآخرون على أئمتهم ولذلك لم يعد مفهوم الامام عند الزيدية غارقا فى الأوهام والأحلام بل أصبح مفهوما واقعيا فى المقام الأول • فالامام عندهم هو زعيم الجماعة وعالمها وعليه دور يلعبه بالنسبة لهم ولهذا أختير • وبينما ذهبت الامامية الى أن الأئمة معصومون من الخطأ ومنزلتهم تـكاد تقارب منزلة النبى فلا يختلفون عنه الا من حيث عدم نزول الوحى عليهم وأن تميزوا بعـلم لدنى يفيض عليهم من الله مما يجعـل كلامهم حجـة فى تفسير القـرآن والحديث ، ذهب زيد الى أن الامام ما هو الا بشر مثل الآخرين وهو ليس بمعصوم ولذا قد يخطىء وقد يصيب ، وجعل زيد العلم من شروط الامامة وان جعل هذا العلم مكتسبا بفضل البحث والجهد • ولعل هذه الآراء هى التى جعلت الزيدية أكثر تسامحا تجاه الخلفاء الراشدين عن سائر الشيعة وجعلتها أقرب الى السنة • ويرجع بعض الباحثين انكار الزيدية لعصمة الأئمة لعلمهم اللدنى وانكارهم لرجعـة هـؤلاء لتأثر هـذه الفرقة بآراء المعتزلة وهو ما سأعرض له بعد حين •

٥ ـ اصـــول الزيدية :

من أهم أصول المذهب الزيدى الأمـــر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى عقيدة عمل بها بعض أهل البيت كما أخذ بها المعتزلة وهذان الفريقان يمثلان المصدر الذى استقى منه زيد مذهبه · وأول من أخـذ بهذا المبدأ من أهل البيت كان الحسين أما ابنه على زين العابدين فقـد رأيناه يكفى بالامامة الروحية بعد أن شهد ما حدث لأبيه نتيجة لتخلى أنصاره عنـه ، وكذلك فعل محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب · الا أن الظروف حتمت على الشيعة الامامية الأخذ بمبدأ التقية ، وكان محمد الباقر مؤسس الفقه الشيعى للامامية يقول : « التقية دينى ودين أبائى · وعندما رجع زيد الى هذا المبدأ ونعنى به الأمر بالمعروف والنهى عن المنـــكر كان هـذا بمثابة الثورة على الفكر الشيعى ومحاولة لرده لاصوله الاسلامية الحقة · اعتبر زيد الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أصلا من أصول الاسلام ، ويبـدو أنه فى بداية حياته كان يأخذ بمبدأ التقية مثل أبيه وأخيه ولذا كان ينادى الخليفة الأموى هشام ابن عبد الملك بقوله « ياأميـــر المؤمنين » ، لـكن عندما تحداه هشام ثار زيد وأصبح مناضلا فى سبيل الحق آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر · وكل فرق الزيدية تجمع على ضرورة القتال من أجـل الحق وعلى ضرورة الوقوف فى جه أئمة الجـــور وعلى ضرورة اقامة دولة الحق ، ولذا فهى تطلق على هذا القتال اسم الجهاد · كما أنها تجمع على أنه لاتجوز الصـــلاة خلف الحاكم الفـــاجر فهى لاتصح الا وراء الصـــالح ·

واختلفت الزيدية فى الله هل هو شىء أم لا فذهبت فرقة منهما وهى تمثل الأغلبية الى أن البارى شىء ولكنه ليس مثل بقية الأشياء كما أنها لم تقل أنه ليس شيئا · وفى عصر زيد أثيرت مشكلة الذات الالهية والصفات وصيغت فى هذا التساؤل : هل الصفات غير الذات أم عين الذات ؟ وتمسك فريق من العلماء بفكرة أن الله تعالى متصف بكل ما اشتمل عليه القرآن من صفات فهو قادر ، عالم ، سميع ، بصير ، متكلم ، مريد وان كانت هذه الصفات غير الله · ومن هؤلاء المعتزلة وعلى رأسهم واصـــل بن عطاء الذى كان صديقا لزيد ·

وقد ذهب زيد الى نفس رأى المعتزلة ربما تأثرا بفكرهم وربما تكون نفس الفكرة نبتت عند كل منهما فى نفس الوقت ٠

ونفى الامام زيد البداء لأن علم الله ازلى قديم ، وهذا العلم هو علم بعالم الغيب والشهادة ، وكذلك ارادة الله ازلية قديمة قدم ذاته ، وقد كتب الله فى لوحه المحفوظ كل ما سيقع لعباده ولا يمكن أن يحدث فيه تغيير لأى سبب من الأسباب ٠

واختلفت الزيدية فى قضية الايمان والكفر فانقسمت الى فرقتين ٠ ذهبت الاولى وهى تمثل موقف أوائل الزيدية الى أن الايمان ما هو الا المعرفة واجتناب ما جاء فيه الوعيد ، بينما ذهبت الثانية الى أن الايمان هو جميع الطاعات وليس ارتكاب كل ما جاء فيه الوعيد كفرا ، وتمثلت هذه الفرقة فى المتأخرين من الزيدية ٠

وللعقل عند الزيدية سلطان فى الشرع فهو أساس معرفة الأحكام الشرعية ٠ ودور العقل فى الشرع انما هو استخراج الأحكام من النصوص والاجتهاد فيما ورائها ، بل والحكم اذا لم يكن ثمة نص ٠ ومن الجلى انهم متأثرون فى هذا بالمعتزلة ، وأنهم قالوا بالقياس أى الاستنباط العقلى وهو ما رفضه الامامية من قبل ٠ وللعقل أيضا دور آخر عند الزيدية وهو اثبات الرسالة المحمدية ومعرفة الله تعالى ، وهم فى هذا يتفقون مع الحنفية والماتريدية ٠ وبهذا يكون الزيدية قد تركوا باب الاجتهاد مفتوحا على مصرعيه ٠ ومن أبرز ما توصل اليه الزيدية بفضل الاجتهاد فى مجال الشرع رفضهم لزواج المتعة الذى قالت به الامامية ٠

ويمتاز المذهب الزيدى باحتوائه على كثرة من الآراء المتنوعة المصادر ، ويرجع هذا بالطبع لسماحته ، تلك السماحة التى ساعدت على انتشاره فى البلاد الاسلامية المختلفة ٠ وبفضل هذه السماحة استطاع المذهب الزيدى أن ينمو وأن يتطور فكريا وعقائديا فلم يجمد أبدا كما حدث لسائر مذاهب الشيعة ٠ وتمثلت هذه السماحة فى أمور اربعة أولها فتح باب الاجتهاد ، وثانيها الانفتاح على المذاهب الأخرى ، وثالثها وجود المذهب فى عدة أماكن مختلفة متباعدة لكل منها بيئتها الفكرية جعله

يتكيف مع ظروف المكان ، ورابعها ظهور أئمة مجتهدين مشهورين فى كل عصر من العصور وأخذهم بالاجتهاد مما جعلهم يسيرون بالمذهب خطوات جديدة نحو التجديد ٠

٦ ـ فـرق الزيدية :

يذهب بعض المؤرخين الى أن فـرق الزيدية ثلاثة هى الجـارودية والسليمانية والصالحية البترية بينما يذهب البعض الآخـر وهم الأقل عددا الى أن هذه الفرق الثلاث هى أشهر فرق الزيدية التى يبلغ عـددها ثمان فرق وان كان فى الامكان ارجاع الخمس الأخرى الى هذه الفـرق الثلاث ٠ أما الجارودية فهم أصحاب أبى الجارود زيد بن المنذر العبـدى الذى أطلق عليه محمد الباقر لقب سرحوب ـ وهـو شيطان أعمى يسكن البحـر ـ والذى ذهب الى أن النبى نص على امامة على بالوصف دون التسمية وهو فى هذا يتفق مع زيد تمام الاتفاق ، ولكنه اختلف مع مؤسس المذهب عندما كفر الصحابة لتركهم بيعة على بينما لزيد رأى أخر كما سبق أن بيننا ٠ واتفقت الجارودية مع أبى حنيفة وأكثر المرجئـة وسـائر فرق الشيعة فى أن الامامة لا تجوز الا فى قريش نظرا لقول النبى « الامامة فى قريش » ٠ وذهبت الى أن الحسن كان هو الامام بعـد على بن أبى طالب وبعده كان الحسين هو الامام ٠ ولكن الجارودية انقسمت من حيث تسلسل الأئمة الى فرقتين : فرقة قالت ان عليا نص على امامة ابنـه الحسين ثم نص هذا على امامة أخيه الحسين من بعده ثم صارت الامامة بعـدهما شورى فى نسلهما فمن خرج منهم شاهرا سيفه داعيا الى دينه وكان عالما ورعا فهو الامام ٠ وزعمت الفرقة الثانية أن النبى هو الذى نص على امامة الحسن بعـد على وعلى امامة الحسين بعد ذلك ٠ واختلفت الجارودية بالنسبة لمسألة المهدى المنتظر فمنهم من تمسك بمقالة زيد بأن كل من شهر سيفه ودعا الى دينه من نسل الحسن والحسين فهو الامام ، بينما أخـذ بعضهم بفكرة المهدى المنتظر التى رفضها زيد كما بيننا ، ولذا فهم ينتظرون محمد بن عبد الله بن الحسن وهو الملقب بالنفس الزكيـة ولا يصدقون أنه قتل ويزعمون أنه هو المهدى المنتظر الذى اذا خرج ملك الأرض ؛ ومنهم من ينتظر محمد ابن القاسم صاحب الطالقان ولا يصدقون موته ، ومنهم من ينتظر يحيى بن عمير صاحب الكوفة والذى خرج بها فلا يصدقون قتله ٠

أما السليمانية أو الجريرية فهم أتباع سليمان بن جرير الزيدى ، وقد انضم ابن جرير وصحبه الى الزيدية لما لمسوه من اعتقادات خطيرة مسرفة فى الخيال والغيبية عند الشيعة الامامية • ومحور عقيدة السليمانية أن الامامة شورى بين الخلق وانها تصلح بعقد رجلين من خيار المسلمين وهم بشكل عام أقل انحرافا من الجارودية وأقرب فى أرائهم الى زيد وان خالفوه فى بعض ما قال ، وهم يجوزون امامة المفضول مع وجود الأفضل كما ذهب زيد كما يثبتون مثله امامة الشيخين وان اختلفوا معه فى قولهم ان الأمة أخطأت فى اختيارها لهما وان كان هذا الخطأ خطأ اجتهاديا وليس فسقا أو ضلالا • وتكفر السليمانية عثمان لأعماله وهو خليفة فحسب كما تكفر عائشة وطلحة والزبير الذين حاربوا عليا • وكما فعل زيد من قبل رفضت هذه الفرقة قولين أصوليين من أقوال الرافضة الامامية وهما القول بالبداء والتقية اذ اعتبرتهما ضلالا واضحا • والبداء التى سبق لنا تفسيرها بدعة ابتدعها المختار الثقفى أما التقية فمن شأنها التضليل فقد يظهر القائلون بها ما يتفق مع الظالمين وهو غير حق ، فاذا أقيم الدليل على بطلانه تراجعوا قائلين انما قلناه تقية • والسليمانية يكفرون الجارودية لأخذها بتكفير ابى بكر وعمر ، كما أن هذه بدورها تكفر السليمانية لتركها تكفر الشيخين • والامامة عند السليمانية من مصالح الدين التى يمكن تحصيلها بالعقل لا بالنص• وما اضافة السليمانية الى مبدأ امكان اختيار المفضول اماما مع وجود الأفضل هو جعلهم له مبدأ عاما وليس مبدأ مشروطا لايطبق الا على نسل على وفاطمة كما ذهب زيد •

أما البترية فهم أتباع كثير النوى (أو النواء) الملقب بالأبتر ، وقد وافقة على مذهبه الحسن بن صالح بن حى المذانى ولذا يطلق على هذه الفرقة لقب الصالحية فضلا عن البترية • وقد وافق البترية السليمانية فى دعواهم بالنسبة لمسألة الامامة ولكنهم كانوا أكثر اعتدالا فلم يحكموا بكفر عثمان ، وانما توقفوا فى أمره ، اذ أن ماضيه يجعله من أهل الجنة كما بشره الرسول (ص) فلقد كانت له فى نصره الاسلام مشاركة ، أما فى مدة خلافته فقد ولى الظالمين

من بنى امية وبنى مروان واستبد وترك الشورى ٠ وكل هذا لايتفق مع اسس الصحابة مما يوقع المتأمل لأمره فى حيرة ، ولذلك لابد من التوقف بصدده وتوكيل امره الى احكم الحاكمين ٠ وذهب البترية الى أن عليا كان أفضل الخلق بعد رسول اللـــه (ص) وأولاهم بالامامة ولكنه سلم باختيار الصحابة لغيره راضيا ولذا فقد رضوا بما رضى هو به ٠ أما اذا كان رفض لما جازت امامة الشيخين ومعنى هذا أن البترية وضعوا شرطا جديدا للمبدأ الزيدى الذى يجوز اختيار المفضول وترك الافضل ، وهـو رضاء الافضل ، بينما اكتفى زيد صاحب المبدأ بالقول أن المعيار فى هذا الأمر هو مصلحة المسلمين ٠ وقد تمسك البترية برفض مفهوم المهدى المنتظر وعقيدة الرجعة كما فعل الامام زيد كما اتفقوا مع امامهم فى أن من خرج من أبناء الحسن أو الحسين ، وكان عالما زاهدا شجاعا فهـــو الامام ، وجوزوا أن يكون ثمة امامان فى أن واحد فى قطـــرين مختلفين الا أنهم اختلفوا مع زيـــد بذهابهم الى أن كليهما يكون مصيبا حتى وأن رضى احدهما باستحلال دم الآخر ٠ ويبدو أن هذا الغلو الذى طرأ على مذهبهم مرجعه الى الفاصل الزمانى بينهم وبين الامام زيد مما جعـل فقهمه يصل اليهم محرفا ٠ ويكفر البترية والسليمانية الجارودية لاقرارها بتكفير أبى بكر وعمر بينما تكفرهما الجارودية بدورها لتركهما تكفير أبى بكر وعمر٠ وبشكل عام أخذ البترية بفقه أبى حنيفة الذى كان سائدا فى عصرهم فى العراق وفى بلاد ما وراء النهر ٠

وبالاضافة الى هذه الفرق الثلاث الشهيرة هنـــاك فرقة النعيمية أصحاب نعيم بن اليمان الكوفى التى يطلق عليها أحيانا اسم اليمانية نسبة للقب صاحبها ٠ وقد زعم نعيم أن عليـــا كان مستحقا للامامة وانه كان كان افضل الناس بعد الرسول (ص) ، ولذلك أخطأت الأمة بتولية أبى بكر وعمر خطأ بينا ، وان كان هذا ليس اثما وقـــد تبرأ نعيم من عثمان ٠ أما فرقة اليعقوبية فهى تنسب ليعقوب بن على الكوفى وتقول بولاية أبى بكر وعمر ، وان كانت لا تكفر من ينكر ولايتهما ٠ وهى تنكر عقيدة الرجعة وفكرة المهدى المنتظر ٠ أما المرئية فهى تتبرأ من أبى بكر وعمـر ولاتنكر رجعة الاموات قبل يوم القيامة وبمعنى آخر تقول بفكرة المهدى المنتظر ٠

وهناك أخيرا الابرقية والعقبية ٠ الا ان هذه الفرق جميعها لم تصمد عبر التاريخ اذ لم تخرج علماء ينتسبون اليهـــا بل ان مؤسسيها انفسهم لم يكونوا ائمة ٠

٧ ـ علاقة الزيدية بالمعتزلة :

الزيدية هى أكثر الفرق ارتباطا بالمعتزلة ٠ والدليل على ذلك انه عند افول نجم الاعتزال احتفظت الزيدية بمؤلفات المعتزلة فحافظت بذلك على تراثهم ٠ وثمة راى شائع كان زيد بمقتضاه من رواد واصل بن عطاء وقد أخذ عنه اصول الكلام ٠ ومن الجلى ـ كما عســانى قد أوضحت فى عرضى للأصول الزيدية ـ أن الزيدية أخذت أربعة اصــول من اصــول المعتزلة الخمسة الشهيرة ، واستبدلت بالأصــل الخامس الا وهو المنزلة بين المنزلتين مبحث الامامة ٠ وكما تاثرت الزيدية بالمعتزلة تاثرت هــــذه بدورها بالزيدية ، فقــد مال معتزلة بغــداد الى التشيع حتى أطلق عليهم اسم « متشيعة المعتزلة » ٠ وتجلى تشيعهم هذا فى عدة مواقف منهـــا تفضيلهم لعلى على ابى بكر ٠ وتبراهم من معاوية وعمــــر بن العاص ، وتصورهم للامامة تصورا قريبا لتصور الزيدية ٠ ولعل اوضح دليل على قوة التيار الزيدى بين المعتزلة أن القاضى عبد الجبار صاحب الموسوعة الاعتزالية الشهيرة « المغنى » حاول أن ينقى الاعتزال من التشيع الزيدى فاذا باغلب تلاميذه يميلون للزيدين ٠ ومن هؤلاء القزوينى وابو القاسم اسماعيل بن احمد البستى ٠ ولقــد لعبت الزيدية دورا جليــلا بالنسبة للتراث الاعتزالى اذ حافظت عليه بعــد ان كاد يقضى عليـــه على ايدى العوام الذين كانوا يحرقون المصنفات الاعتزالية ٠ تسربت هذه المصنفات الى زيدية اليمن فاحتفظوا بها واقبلوا عليها ٠

وعلى النقيض من هذا التاثير المتبــادل بين الزيدية والمعتزلة وجد تياران منفصلان عن هذا التاثير ٠ اولهما عارض المعتزلة صراحة والثانى انفتح على أهل السنة ٠ ومن اعلام التيار الاول حميـــدان بن يحيى بن حميدان فى القرن السابع الهجرى الذى صاغ خلافه مع الزيدية فى قوله « وافقناهم (يقصد المعتزلة) فى الأصـــول ولم يوافقنا فى الامامة فعلام

الاتفاق ؟ ، وكان محرو الخلاف بين اصحاب هذا الاتجاه وبين الزيدية هو الامامة بالقطع • فالامامة عنـد الزيدية اساسها الخروج الأمـــر الذى لا يوافق عليه اغلب المعتزلة الذين يرون الامامة بالعقد والاختيار فحسب• وكان على راس التيار الثانى الأميـل الى السنة محمــــد بن ابراهيم بن الوزير (٧٧٥ ـ ٨٤٠هـ) •

خاتمـــة :

ارسى الامام زيد اصـــــول فن السياسة الاسلامية عندما جعل معيار اختيار الامام هو مصلحة الجماعة الاسلامية مبتعدا تماما عن السياسة اللاهوتية التى اخذ بها سائر الشيعة متاثرين بمفاهيم دخيلة على الاسلام ومتسربة اليه من التراث الفارسى بشكل خاص • وقد تمسك زيد بروح الاسلام الأولى فتمييز عن سائر الشيعة ، واقترب من اهل السنة • ولقد تمسكت كل فرق الشيعة باجلالها لعلى واستغلت حقه فى الخلافة قبل غيره فى دعوتها ،اما زيد فكان الوحيد من بين ائمة الشيعة الذى حاول أن يصيغ مذهبا يتفق مع سيرة على وسنته • وربما امكننا القول ان الزيدية حاولة جريئة لتحطيم ذلك الحاجز القوى الذى راد الشيعة زمن الباقر اقامته بنهم وبين سائر الفرق الاسلامة لاسيما اهل السنة ، اى هى محاولة لايجاد حل وسط او هى بمثابة الجسر بين اهل السنة وبين عقائد الشيعة • وفى راى ان محاولة التقريب بين السنة والشيعة تلك المحاولة التى ينادى بهـا بعض العلماء فى عصرنا من الأجدى والأيسر أن تبدأ عنــــد الزيدية التى تمسكت دائما بفقه وفكر وسنة آل البيت • ولعل هذا التقارب بين الفريقين هو الــذى جعــل بعض المصلحين يفكــــرون زمن الامامة فى اليمن فى الخمسينات من هذا القرن أن يجعلوا من الامام البدر اخـر ائمة اليمن الزيديين هو خليفة المسلمين كافة سواء كانوا سنة ام شيعة •

المراجـــــع :

ـ أبو زهرة (محمد) : الامام زيد ـ حياته وعصـره ـ اراؤه وفقهه ـ دار الفكر العربى ١٩٥٩ ٠

ـ ابن خلدون : المقدمة ـ المطبعة الادبية ـ بيروت ١٨٨٦ ٠

ـ الأشعرى (أبو الحسن) : مقاولات الاسلامين واختلاف المصلين ـ جزءان تحقيق ريتر ـ استانبول ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ ٠

ـ الا يحيى (عبد الرحمن بن احمد) : المواقف ـ قام بطبعه ونشره أبراهيم الدسوقى عطية ـ احمد محمد الحنبولى ـ القاهرة ١٣٥٧هـ ٠

ـ بروكلمان (كارل) : تاريخ الأدب العربى ـ ترجمة د٠ عبد الحليم النجار

ـ الجزء الثانى ـ دار المعارف ـ القاهرة ١٩٦٢ ٠

ـ الشهرستانى : الملل والنحل ٠

ـ صبحى (أحمد محمود) : الزيدية : الطبعة الثانيـة الزهراء للاعـلام العربى ١٩٨٤ ٠

Encyclopédie de l'Islam, tome IV, Zaïdiya.

Gardet (L) : Connaître l'Islam - Série "Je sais - Je crois" - Paris 1958.

Göldziher (I) : Le dogme et la loi de l'Islam-Traduction de Félix Arin-Paul Geuthner 1920.

الفصل الثالث

النصـــــــــيرية

١ ـ تاريخ النصيرية :

غالت كثير من فــرق الشيعة فى اخلاصها المتعصب لعلى بن أبى طالب ولسلالته وهى تلك التى يصنفها المؤرخون العرب تحت اسم الغلاة · ولقد ذهبت طائفة منها الى أن عليا له نفس مرتبة محمد بل الى أنه أسمى منه والى أن جبريل ـ سواء فعل ذلك عن قصد أو بدونه ـ أوحى بالقرآن لمحمد بدلا من على وذهب بعضها الى أن الطبيعة الالهية حلت فى على وفى الائمة من بعده ، ومن هذه الفرق الاسماعيلية التى مهدت لظهور فرقة الدروز والخوجة أو الاسماعيلية الجديدة · الا أنه ما من فرقة من فرق الغــلاة هذه فعلت ما فعلته فرقة النصيرية التى سارت فى طريق المغالاة الى اقصاه · وحتى عهد ليس ببعيد كنا لا نعرف عن النصيرية الا اقــل القليل وذلك من خلال كتب أعدائهم وخاصة الدروز ، ومن خلال فتوة ابن تيمية ، أو من خلال ما نقله عنهم الرحالة الذين زاروا بلادهم فنقلوا عاداتهم وتقاليدهم وصوروا بعض أعيادهم ومن هؤلاء ابن بطوطة · ولذا فدراسة هذه الفرقة تاريخيا وعقائديا ، خاصة وانها من الفرق الباطنية التى تحتفظ باسرار عقائدها ، تمثل صعوبة بالغة لندرة المصادر التى يمكن الاعتماد عليهـــا ·

ولعل أول المشاكل التى تواجه الباحث الذى يحاول دراسة هــذه الفرقة هى اصــل اسمها · وكان بعض الباحثين وعلى رأسهم العــلامة ارنست رنيان المستشرق الشهير قد ذهبوا فى القرن الماضى الى أن الاصل اللغوى للنصيرية يرجع الى لفظة نصرانى ، فالنصيرى وجمعها نصيرية هى تصغير لنصرانى وجمعها نصارى · ويقدم هؤلاء الباحثون دليلا على فكرتهم هــذه يتمثل فى أن كثير من الشعائر النصيرية ومن أعيادها بل

وبعض مفاهيمها الدينية شبيهة بمثيلاتها فى المسيحية ٠ الا أن هذا التفسير لم يسد طويلا فى الاوساط العلميـــة اذ سرعان ما تبين انه ليس صحيحا لغويا أن نصيرى هو تصغير لنصرانى هذا من جهة ، ومن جهـة اخرى فان النصيرية كانوا يحملون هـذا الاسم بالفعل قبـل أن تتسرب اليهم العناصر المسيحية ٠ وذهب البعض الأخر من الباحثين الى ان اصل هـذا الاسم مشتق من نصارية وهى قرية بالقرب من الكوفة ولد بها الخصيبى مؤسس هذه الفرقة ؛ الا أن دراسة النصوص النصيرية ، ودراسة تاريخهم دراسة دقيقـة اظهرت خطأ هـذا الرأى ، فالخصيبى ليس هـــو مؤسس النصيرية بل مكمل عقيدتها التى اسسها محمد بن نصير ٠ واكـــد بعض العلماء أن نصيرية انما هى نسبة الى نصير وهو شهيد شيعى اسطورى تختلف حوله الآراء فتدعى فرقة العلى الاهى انه ابن لعلى بن ابى طالب ، بينما تدعى بعض فرق الشيعة الأخرى انه كان عبدا لعلى وعتقه ٠ وادعى فريق ثالث انه كان وزيرا لمعاوية ابن ابى سفيان ٠ وثمـة تسمية خاطئة اطلقها على النصيرية الرحالة الغربيون الذين زاروا تلك المنطقة فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ونعنى بها انصارية وهى نسبة الى الأنصـار أى انصار محمد ٠ ومن الجلى أن الامر قد اختلط على هؤلاء فلا يعقـل أن يكون النصيرية وهذا حال عقيدتهم ، هم انصار الرسول محمد (ص) اما التفسير الصحيح والذى يكاد يجمع عليه معظم الباحثين المتخصصين فى دراسة هذه الفرقة مثل دوسو ولامنز فهو ان هذه الفرقة تنسب الى محمـــد بن نصير العبدى البكرى النميـرى اول متكلمى فـرقة النصيرية ومؤسسها عقائديا ٠ ومما يؤكد هذا التفسير أن النصيرية كان يطلق عليهم لقب النميرية كما يقول لنا النوبختى فى كتابه عن الفرق الشيعية ، وكما يقول لنا الاشعرى فى مقالات الاسلاميين ٠ وكان بن نصير هذا هو اخـر الاتباع المخلصين للامام الحادى عشر عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية ونعنى به حسن العسكرى الذى توفى فى عام ٨٧٣م٠ والغريب أن الاسطورة النصيرية تجعل ابن نصير يعيش فى القرن التاسع الميـلادى وتجعل اباه وزيرا لمعاوية ! ولقد لف الغموض طويلا شخصية محمد بن نصير الحقيقية وكان اسمه مجهولا لغير النصيرية حتى القرن التاسع عشر ٠ فالشهرستانى مثلا وهو صاحب اقدم مقالة من عقائد النصيرية ، يبـدو وكانه يجهل وجوده تماما فيذكر فرقته دون ذكره ، وهـذا امر عجيب لايتفق ودقته

البالغة فى تحرى الحقائق · ولعل سليمان أفندى ـ وكان أحد النصيرية ثم تحول الى المسيحية فى القرن التاسع عشر ، والف كتـابا عن العقيدة النصيرية هو « الباكورة » الذى يعد أوثق المصادر عن تلك الفرقة ـ هو أول من كشف لنا النقاب عن حقيقة هذه الشخصية الغامضة التى يؤكـد هو وجودها التاريخى بالفعل · لقـد جاء ذكر ابن نصير فى السورتين الاولى والرابعة من كتاب النصيرية المقدس ، أى من المجموع ، على انه مؤسس الفرقة تحت اسم أبى شهيب محمـد بن نصير العبـدى البارى النميرى · ويبدو لنا منطقياً أن يكـون ابن نصير هـذا هـو الذى تنسب اليه هذه الفرقة خاصة وانه جرت العادة بالنسبة لسائر فرق الشيعة أن تتخذ اسم مؤسسها اسما لها · وبالرغم ان اسم البكرى وهو لقب ابن نصير ، اسم عربى فان ثمة باحثين يعتقدون انه من أصل فارسى مثله مثل سائر مؤسسى فرق الشيعة ·

واذا كان اسم النصيرية وحقيقة مؤسسها يمثلان مشكلة فان الأصل الانثروبولوجى لهذه الفرقة يمثل مشكلة أخـرى بالنسبة للباحثين الذين ينقسمون بصددها ، فيذهب فريق منهم الى انها نتاج التزاوج بين الاهالى الذين كانوا يعيشون فى تلك المنطقة وبين الفرنجة الصليبيين فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر والحجة التى يستند اليها هذا الفريق هى الألوان الفاتحة التى يتميز بها النصيرية سواء كان ذلك فى البشرة أو فى العيون أو فى الشعر · الا أن الدراسات الانثروبولوجية الحديثة أثبتت أن النصيرية أقـرب الى الايرانيين منهم الى الغربيين أو العرب · ويذهب فريق ثالث الى أن النصيرية من أصل فارسى بينما يؤكد فريق أخر أنهم من الجنس الفينيقى الذى اختلطت به كثير من الاجناس وخاصة الجنس الفـارسى ·

وليس لدينا حتى الآن معلومات يقينية عن أصل النصيرية فيما قبل المسيحية فلايعرف شيئا عنهم قبـل العصر الرومانى اذ يختلط تاريخهم فى تلك الحقبة بتاريخ الفينيقيين ولقد احتمى الشعب الذى أصبح فيما بعد يطلق عليه النصيرية فى القرن الاول من المسيحية فى الجبـال الشمالية من سوريا مما حقق له نوعاً من الاستقلال أتاح له المحافظة الى حد ما

على عقيدته من التأثير المسيحى · ويقال انهم كانوا يساعدون أعــداء المسيحية من الوثنيين فى القرن الرابع الميلادى ، الا أن مجاورة المسيحيين جعلت بعض عقائد هؤلاء تتسرب الى النصــــرية · وعندما فتح المسلمون هذه المنطقة احتمى الأهالى مرة أخرى بالجبال حيث عاشوا فى فقر ولكن فى حرية اتاحت لهم ممارسة عبادتهم القديمة · وكما أصبحت لبنان مأوى للمارونية أصبح جبل السماك ـ كما يسمى الجغرافيون العــرب جبــل النصيرية ـ مأوى للنصيرية · أما ابن نصير مؤسس النصيرية فقد ظهر فى القرن التاسع وحور كثيرا فى عقيدة الشيعة التى كان يؤمن بها سلفه محمد بن جندب وفى هذه المرحلة لم تكن هذه العقيدة قــد تخطت حدود الفرات ، ولم يحدث هذا الا على يدى أبى عبد الله ابن حمدان الخصيبى ، الذى يعد بحق مكمل العقيدة النصيرية أو مؤسسها الثانى والذى ألف الكثير من المؤلفات الدينية ونظم العديد من القصائد التى مايزال النصيرية يترنمون بها فى جبل السماك ، والذى ينسب له النصيرية أيضا فيطلق عليهم أحيانا اسم الخصيبية · ظهر فى الكوفة فى القرن التاسع الميلادى بدعوة هى تطوير للنصيرية فالتف حوله عدد كبير من الاهالى اختار ما بينهم اثنى عشر شخصا جعلهم له بمثابة الحواريين من المسيح · ولمــــا بلغ أمره حاكم الكوفة سجنه ولكنه استطاع مدعيا أن المســـيح هو الذى خلصه من سجنه ! · ويبدو أنه كان من أصل فارسى · وقد ادخل النصيرية سوريا مما جعلها تدخل مرحلة جديدة : اذ كانت هذه الفرقة بالرغم مما بها من افكار مغالية ذات أصل شيعى تعد الى حــد ما من الفرق الاسلامية ولكنها بدخولها سوريا انفصلت تماما عن الاسلام اذ تأثرت بالمناخ العام السائد فى ســـوريا وقتذاك ، والذى يشجع على الانفصال فى الاســـلام · وسبب هذه النزعة الانفصالية من نقل عاصمة الخلافة الاسلامية من دمشق الى الى بغداد على أثر انهيار الخلافة الاموية وقيام الخلافة العباسية ·

وفى بداية القرن العاشر الميـــلادى ، وعلى وجه التحـــديد فى ٢١ يوليو ٩٠٣ خارت قوات القرامطة فى معركة بالقرب من حماة ولم تستطع فلول هذه الحملة أن تعود للعراق عبر الصحراء فلجأت الى النصيرية واندمجتبها مما جعل هذه الأخيــرة تتأثر بالعقيدة الباطنية وهى عقيدة

القرامطة · وفى القرن الحادى عشر كان الاندماج بين العقيدة المسيحية والاســـلام والباطنية ، ذلك الاندماج الذى شـــوه كلا من هذه العقائد انتج مذهبا دينيا لاينمى لا للاسلام ولا للمسيحية ، خاصة وقد اختلطت به بعض المعطيات الغنوصية والمانوية وبقايا العقائد الفينيقية القديمة مثـل عبادة الطبيعة · ويمكننا القول ان العقيدة النصيرية تبلورت تماما فى ذلك الحين وهو ما يبدو لنا من كتاب « مجموع الاعياد » الذى وضعه أبو سعيد ميمون بن القاسم الطبرانى حوالى عام ١٠٠٠م · وفى هذا الكتاب تتضح لنا عناصر النصيرية الاساسية أى التمييز بين الأقانيم الالهية الثلاثة : المعنى والاســم والباب ·

واكتمل بناء النصيرية تماما فى القـــرن الخامس عشر فأصبحت بالصورة التى هى عليها حاليا · ولعل هـــذا هو ما دفع ابن تيمية الى وضع فتواه ضدهم فحرم فيما الزواج من النصيرية ، وأحل فيما دماءهم وممتلكاتهم ، ودعى فيها الى الجهاد ضدهم واتخاذ التدابير القاسية التى من شأنها القضـــــاء عليهم · وبعد ظهـــور هذه الفتـــوة بقليل زار الرحالة ابن بطوطة بلاد النصيرية وجاء عنده ان الملك الظاهر قد أجبـر النصيرية على بنـــاء المساجد ــ وهو المثـال الذى احتزاه بعد ذلك بست قرون السلطان التركى عبد الحميد ــ ولقـد أطاع النصيرية الملك الظاهر ولكنهم سرعان ما حولوا هذه المساجد الى حظائر للماشية ! وعند ما جاء الغزو العثمانى لم يغير شيئا من وضعهم · أما الاحتلال المصرى على يد ابراهيم باشا فكان قاضيا عليهم اذ دخـــل ابراهيم باشا جبلهم ، ونزع الســـلاح منهم ، ودمـــر كل قلاعهم · وبعـــد انسحاب المصريين أصبح النصيرية تحت حكم زعمائهم القوميين ، وكان أخرهم اسماعيل خيرى بك الذى استغلهم اقتصاديا الى أبعد حـــد فاضطر الاتراك الى التدخل عـــام ١٨٥٨ الى قتله ·ومنذ ذلك التاريخ والجبل مقسم الى قائمقامات أو مقاطعات وفى ظل الحكم العثمانى تدهورت أحـــوال النصيرية الاقتصادية تدهورا كبيرا نتيجة لتركهم زراعة العنب والدخان وهما مصدرا دخلهم الاساسى · وفى نهاية القرن الماضى جـــاء الى النصيرية أمر من اسطنبول ليصبحوا جميعا من المسلمين · ولقد اضطر زعماؤهم الى الخضوع لهذا الأمــر

الذى اصدره الباب العالى السلطان عبد الحميد فبنيت المساجد لاظهار حسن النية ، وان استمروا يمارسون سرا شعائر عقيدتهم • وكان معظم السكان فى جبل النصيرية من الفلاحين الفقراء والرعاة التابعين اقتصاديا واجتماعيا ببعض العائلات االقطاعية التى تمتلك الاراضى • وحاول بعض المفكرين الشبان من النصيرية تكوين حكومة مستقلة واستطاعوا بالفعل انتزاع نوع من الاستقلال الذاتى الاقتصادى والادارى من الحكومة العثمانية • وعلى اثر سقوط الدولة العثمانية اعتبر الانتداب الفرنسى الذى سيطر على المنطقة ابتداء من عام ١٩٢٠ الاراضى النصيرية دولة مستقلة هى دولة العلويين واصبح هذا هو اسمها ، وجعلوا عاصمتها هى اللاذقية • وفى عام ١٩٣٦ أصبحت هذه الدولة محافظة سوريا ويمثلها فى البرلمان السورى ستة عشر نائبا عشرة منهم علويين وستة يمثلون الديانات الاخرى ولقد ذابت هذه المحافظة تماما فى سوريا عندما أعانت فيه الجمهورية عام ١٩٤٥ ولم يعد النصيرية شعبا مستقلا بل أصبحوا عقيدة فحسب •

وفى آخر احصاء لهم عام ١٩٥٩ كان عددهم ثلاثمائة الف نسمة وان كنا نشك فى صحة هذا العدد ، ونعتبره لايصور الحقيقة التى لابد وأنها تفوق هذا العدد كثيرا ، فالناس فى هذه المنطقة لايستجيبون للتعداد بسهولة • وهم يتركزون خاصة فى جبل لبنان أو جبل النصيرية كما يوجد فى حماة وحمص وحلب وانطاكية وطرابلس واللاذقتة بل وفى دمشق ذاتها • ومازال النصيرية يحتفظون حتى اليوم بأساليب حياة العصور الوسطى وما زالت ثقافتهم بدائية وذلك تعجز الهمم فى قراهم • ولاشتغالهم أساسا بالزراعة يطلق عليهم أيضا لقب الفلاحين • وهناك اعداد منهم تعيش فى شمال نابلس وفى كردستان وفى ايران على ضفاف الفرات •

٢ ـ العقيدة النصرية :

لا تقدم لنا المؤلفات التى تؤرخ للفرق الكثير من الحقائق عن النصيرية ، فالايجى فى مواقفه اعتبر النصيرية والاسحاقية من الشيعة وذهب الى انهم قالوا بأن الله حل فى على ، أما البغدادى فى « الفرق بين

الفرق » فلا يذكر عنهم الا أنهم اتباع رجل اسمه النميرى كان من اتباع الشريعي وكان يدعى حلول الله فيه ، وهو نفس ما ذهب اليه الأشعرى فى مقالات الاسلاميين ·

ومما لا يمكن انكاره ان هذه العقيدة محورها هو تقديس على أى أنها شيعية ، وكما هو معروف انقسم المسلمون على أثر وفاة الرسول بصدد مسألة الخلافة ، فالتفت الاغلبية حول أبى بكر الصديق تؤيده ، أما الأقلية فأيدت حق على بن أبى طالب زوج فاطمة ابنة الرسول فى الخلافة · وذهب هؤلاء وهم نواة الشيعة الى ان هذه الخلافة حق لأبناء على ما بعده · ووجدت قضية العلويين أرضا خصبة فى فارس التى ما قبلت السيطرة الاسلامية العربية الا ظاهريا وان ظلت تأمل فى الانتقام يوما من « الغزاة » · وكان تأييد الفرس لقضية العلويين ضربا من من المعارضة الملتوية للحكام العرب ولذا سرعان ما جعلوا لعلى ولنسله من بعده حقا الاهيا فى الحكم ، وهذه فكرة عزيزة عليهم فى تراثهم · أصبح على ونسله أى الأئمة هم الصورة الجديدة التى واصل الفرس من خلالها عبادة مقدساتهم القديمة وكان المصدر الأول لكل فرق الشيعة المغالية هو عبد الله بن سبأ أو ابن الأسود اليهودى الأصل والذى أله عليا حى أنه يقول له « أنت أنت » أى أنت الله · وقد اضطر على لقتله لخروجه على الاسلام · وبعد السبأية أخذت فرق أخرى بعقيدة تأليه على طبقتها على الأئمة ، ولكن أعنفها مغالاة كانت النصيرية ·

وعند النصيرية كثير من العقائد ذات الأصل الفارسى التى لا يمكن أن تكون قد نبتت على أرض سوريا مثل كراهية خلفاء الرسول الثلاثة الأول وخاصة عمر الذى فتح فارس ، وتقديس كل الشخصيات التى تنتمى ولو من بعيد لفارس مثل ازدشير ، والاحتفال بالاعياد الفارسية مثل عيد النيروز والمهرجان ، كما ان سلمان الفارسى الذى يمثل الباب فى عقيدته من أصل فارسى · وبالرغم من هذا اعتبر المؤرخون القدامى ومنهم الشهرستانى هذه الفرقة من الشيعة ·

(١) الثالوث والتجسـيد :

واول قائد النصيرية هو الأخذ بثالوث الهى خالد يتكون من مبدأ اسـاسى هو المعنى ومن أقنومين يفيضان مباشرة عنه هما الاسم والباب والمعنى هو الالوهية أو الوجود الأعلى وهو النور ، أو هو الجـوهر الألهى نفسه · ويطلق على الاسم أيضا الحجاب ، وهو التجلى الخارجى أو الظهور العلنى للمعنى أما الباب فهو الذى يقود للمعنى أى أنه الذى يسهل الوصـــول للمعنى الخفى أى الى أسرار الدين ، فالنصيرية ديانة باطنية · ولقد تجسدت هذه العناصر الثلاثة للثالوث فى أجساد انسانية فى كل دورة من الدورات السبع التى تكون تاريخ العـالم · وفكـرة الدورات أو الاطوار السبعة هذه فكرة اسماعيلية سـنعود اليها بعد قليـل · وآخر تجليات الثالوث عندهم كانت وقت الهجرة وكانت فى على ومحمد وسلمان الفارسى · ولقد بشر سـلمان بعلى ولكن محمدا فيما يذهبون هو الذى أخذ الرسـالة · أما سـلمان هـذا فأحد صحابته محمد الغامضين · وكل فرق الشيعة تجعله ما أهم أنصار على ·

وبالرغم من أن عنـاصر الثالوث الالهى لا تنفصـل بعضها عن البعض الآخر لأنها تكون وحـدة الاهية فان الاسـم والبـاب لدى النصيرية ليسا على قـدم المسـاواة مع لى ، فهما فيضـان للالوهية أى لعلى · أى أن عليـا هو الذى خلق محمدا وهذا بدوره خلق سـلمان من نور نوره · وفكرة أسبقية على فى الوجود وفى القيمة هى التى تجعل النصيرية يذهبون الى أنهم موحدون · ويشار الى هذا الثالوث «بعمس» وهو المكون من الحروف عين وميم وسين وهى الحروف الأولى لأسـماء على ومحمد وسـلمان · وعمس هو أعظم الاسرار الذى لا يكشف عنه الا للمستجيبين فى جلسات الاعـداد لاعتنـاق النصيرية · ولم يتبين الشهرستانى ان النصيرية جعلوا لعلى المرتبة الأولى ولمحمـد المرتبـة الثانية فذهب الى أن النصيرية اعتقـدوا بتالية محمد وعلى على قدم المسـاواة وبأن محمد اختـار عليا خليفة له فى الالوهية ·

وعلى عند النصيرية هو المعنى كما أن عيسى عند المسيحيين هـو الكلمة أو اللوغوس ولهذا يطلق على عقيدتهم اسم المعنوية · وهم يؤكدون

قول محمد يوم غدير « من أن ولية على معناه » · على هو الاههم فى السماء وامامهم على الأرض ! والله عندهم لم يلد ولم يولد وهذا تطبيق لمفهوم الله القـرآنى · والله عندهم واحد وخالد ودائم الوجود كما جاء فى المجموع فى السورة الرابعة عشرة · وجوهره هو النور ومنه تستمد الكواكب نورها · وبالرغم من تنزهه عن الصـغائر فهو يفلق الحجـر ويزحزح البحار ويتحكم فى كل الامور كما جاء فى السورة الثامنة فى المجموع · وهو خفى بحكم جوهره الالهى · وهو لا يأكل ولا يشرب وليست له علاقات جنسية · وهو خالق المخلوقات · وصحيح ان كلمة الله تفترض موضوعا للتأويل الا أن قيمة الاسم لا تعادل قيمة المسمى · « فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر ولم يعبد شيئا ومن عبدا الاسـم والمعنى فقد أشرك ومن عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد الخالص » · هذا التفسير ينسب للامام جعفر الصادق عندما سئل عن اسماء الله ، ويأخذ به النصيرية · ويبدو أن النصيرية عجزوا عن الارتقاء الى مستوى التأملات الفلسفية ولذا قالوا بمفهوم الله الواحد لا بمفهوم الألوهيـة المنزهة عن اية صفات ·

وأول فيض لله هو الاسـم ، والاسـم هو الناطق وهو النبى محمد الذى قدم المعنى أى الارادة الالهية · أما سـلمان الفارسى وهو البـاب فقد خلقه محمد ، والباب هو المكلف بالدعوة · وقد جاء عنه فى كتاب المجموع فى السـورة الخامسة : « أما سـلمان فهو البـاب الناطق والشيخ الناطق الذى لا يصل اليه الا به ولا يدخل اليه الا منه ـ متصل غير منفصل» · ولم نستطع تبين سبب اقحام سلمان الفارسى فى هذا الثالوث الالهى الا اذا كان لكونه فارسيا وصديقا لعلى · ولقد خلق سـلمان الأيتام الخمسة ومعنى الأيتـام الذين لا مثيل لهم وهم نوع من الملائكة خلقوا بدورهم العـالم المحسـوس الحالى ، واسـماؤهم هى أسماء الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى الاسـلام · فهم المقداد بن أسود الكندى وهو يتحكم فيما يذهبون فى الصاعقة والبرق والزلازل الأرضية ، وأبو الدهر الجعفرى الذى يتحكم فى حركة الكواكب ، وعبد الله رواحة الذى يتحكم فى الرياح وفى عقول البشر ، وعثمـان بن مظعون النجاشى الذى يتحكم فى البطون وفى حرارة الاجسام والأمراض ، والقنبر بن قدان

الذى يبث فيما يزعمون الارواح فى الأجسام · اليس القول بالايتام ويتعددهم هو نوعا من القول بتعدد الآلهة كما كان يذهب اليونان وغيرهم من أصحاب الحضارات القديمة ؟ · وهؤلاء الايتام هم أيضا على التوالى الملائكة ميخائيل واسرافيل وعزرائيل ودردويل وسلسائيل · وبعد هؤلاء الأيتام الخمسة اتحدت الالوهية على الأرض باثنى عشر نقيبا وهم نواب على على الأرض الذين ينشرون العقائد ·

ويقدم النصيرية تفسيرات لثالوثهم المقدس شبيهة الى حد كبير بتلك التى يقدمها المسيحيون لثالوثهم حتى ليبدو الأمر أكثر من مجرد مصادفة ويشير الى أخذ النصيرية عن المسيحية ·

ويقسم النصيرية الزمان الى سبعة أطوار كل منها يقابل تجلى من التجليات الالهية، ويرجع هذا التقسيم الى التصور الفلكى القديم الذى حدد أيام الأسبوع بسبعة · وعند النصيرية ان الطور السابع لا يتميز بظهور المهدى المنتظر ــ كما ذهب الاسماعيلية من قبل اذ ان النصيرية خالية منفكرة المهدى المنتظر ــ بل يتميز بكونه طور الظهور الالهى السابع أى ظهور على بن أبى طالب · وفكرة تجسد شخصيات الثالوث الثلاث فى أجسام انسانية فى كل طور من الأطوار السبع التى يسمونها القباب والتى ينقسم اليها تاريخ العالم تمثل ثانى عقائد النصيرية بعد الثالوث · ولكل قبة من هذه القباب السبع معنى واسم وباب · وأول هذه القباب كان أسمها الحن ، وثانيها كان أسمها البن والمعنى فيها كان هرمس ، وثالثهما أسمها الطم ، ورابعها اسمها الرم ، وخامسها اسمها الجان ، وسادسها أسمها الجن ، وسابعها اسمها اليونان والمعنى فيها كان ارسطو والاسم كان افلاطون والباب سقراط ! القبة السابعة اذن فلسفية تماما كما نرى ولعلها المرة الوحيدة التى يتجلى فى عقيدة شيعية بوضوح الأخذ عن الفلسفة اليونانية بلا أية مداراة · وفى كل قبة من هذه القباب السبع كان الشيطان يتجسد فى ثلاثة اقانيم تكون وحدة وتلك الأقانيم هى أبو بكر وعمر وعثمان · وفى كل قبة من هذه القباب كان على يتجسد فى المعنى · وآخر ظهورات على كانفى القباب السبع الذاتية ، وفى كل قبة منها تحل الالوهية فى شخص وتتمثل النبوة فى

اخر • واول حلول للالوهية كان فى القبة الأولى فى هابيل ، ثم حلت الألوهية فى شيت ثم فى ســام ثم فى اســماعيل ثم فى هــارون ثم فى شمعون الصفا واخيرا اســتقرت الالوهية فى على بن أبى طالب • أما النبوة فتحققت على التوالى فى آدم ثم فى نوح ثم فى ابراهيم ثم فى موسى ثم فى عيسى ثم فى محمد عليه الســلام •

(ب) التناســخ :

وتصادفنا هذه العقيدة عند كثير من فرق العلويين مثل الاسماعيلية وان امتازت عند النصيرية بانها بقيت كما كانت عليه زمن الوثنيــة • ومضمون هذه العقيدة بساطة حلول الروح فى جسد آخر بعد فناء الجسد الذى كانت فيه • ويعتقد النصيرية انهم كانوا جميعا فى البداية نجوما أو كواكبا لامعة متوهجة تنعم برؤية على ولكنهم استغرقوا فى تأمل ذاتهم فعاقبهم على بأن طردهم ونفاهم فى الأرض وسجنهم فى أجساد انسانية• ولابد للنصيرية الذين حلوا فى أجســام بشرية عقابا لهم ان يتكرر ذلك بالنسبة لهم سبع مرات قبل أن يعودوا للســماء نجوما مضيئة • وهذه العودة للسماء هى الرجعة البيضاء وفيها ترى تلك النفوس التى تطهرت العلى العظيم الكبير وهو يظهر من عين الشمس فى يوم الرجعة هذه •

وهم يذهبون الى ان المسلمين بعد موتهم يتحولون الى حمير بينما تحول المسيحيون الى خنازير واليهود الى قرود ! أما النصيرية الزنادقة فان أرواحهم تحل فى أجسام حيوانية تصلح للطعام الانسانى • أما الذين تلقوا الدعوة النصيرية ثم شكوا فيها فيحلون فى أجساد القرود • أما الذين لا يتساوى عندهم الخير والشر فيبعثون فى حيــاة بشرية أرضية ثانية ولكن فى دين آخر • ويمثل التجسد فى أجســاد الحيوانات عقابا شبيها بالجحيم فى الاديان الأخرى • وهم يقبلون دون سائر فرق الشيعة مفهوم الخطيئة الاصلية أو الخطيئة الأولى وهى عندهم تأمل النصيرية لذاتهم عندما كانوا نجوما بدلا من تأمل على • والعودة للأرض عندهم تثير خوفا ليس له مثيل وهى تهديد لمن يفشى سر دينهم • والتناسخ ثلاثة انواع : النسخ وهو حلول الروح فى جســد بشرى أقــل مرتبة ، والمسخ وهو حلول الروح فى جسد حيوانى ، والفسخ وهو حلولها فى نبــات •

وليس عند النصيرية بناء على اخذهم بعقيدة التناسخ بعث كلى يبعث فيه كل البشر بل عندهم رجعة فردية تعتمد على جهود كل فرد فى تحقيق الرجعة البيضاء ٠

وثمة أوجه شبه كثيرة بين التناسخ النصيرى وذلك الذى يقول به كل من البابليين والفرس وهو نفس المذهب الذى شاع عند الافلوطينيين وعند كثير من الغنوصيين الذين عاشوا فى سوريا ٠

(ج) الدعـــوة :

ان معرفة الدين مقصورة عند النصيرية على الرجال دون النساء ، بل على المستجيبين من الرجال فحسب ٠ وفكرة الدعوة التى نجدها ايضا عند الاسماعيلية ، ضرورية فى رأينا لأية ديانة تحاول الانتشار فى غفلة من السلطات الدينية المسطرة على المجتمع الذى تعيش فيه ٠ ويقول النصيرية بثلاث مراحل للدعوة بدلا من تسع كما ذهبت الاسماعيلية ٠ وأول الشروط التى يجب توافرها فى المستجيب النصيرى هو ان يكون من أب ومن أم نصيريين ٠ ولا يمكن للأب ان يلعب دور الداعية لأبنه كما ان ذلك ليس ممكنا لأى قريب من الاقارب ٠ ومن شان الدعوة أن تخلق قرابة روحية بين الداعية والمستجيب شبيهة بالأبوة الحقيقية بحيث لا يمكن للمستجيب الزواج من بنات الداعية ٠ ولا تبدأ الدعوة قبل سن الثامنة عشر ٠ ولابد أن يضمن المستجيب شخصان او ثلاثة ، ومعنى الضمان هنا ضمان عدم افشاء الأسرار النصيرية ٠ وعلى اثر هذا الضمان يصبح الشيخ الداعية بالنسبة للمستجيب هو « العم السيد » ، اما اذا مات هذا الشيخ قبل انتماء المرحلة الأولى من الدعوة فلا بد للمستجيب ان يعيد الكرة من البداية ٠ ولابد للمستجيب أن يعلن فى اول جلسات الدعوة او الاعداد عن تواضعه ، ويكون ذلك بأن يضع نعال الحاضرين على رأسه ! وفى نفس تلك الجلسة يعرفونه بالحروف عين ، ميم ، سين دون الكشف له عن معناها وهذه الحروف تمثل سر « عمس » ٠ وتنتهى هذه الجلسة بأن يسقى المستجيب نبيذا وهو رمز الالوهية ٠ وجاء عند سليمان فى الباكورة أن هذه الجلسة يطلق عليها اسم جمعية المشورة كما يطلق عليها اسم جمعية المشورة كما يطلق عليها اسم جلسة التعليق ٠ وبعد أربعين يوما يقيم الأهل حفلا كبيرا يدعى فيه الأصدقاء وتنحر فيه

الذبائح ، وهو بمثابة جلسة الاعـــداد الثانية · وفيه يتعلم المســتجد الفصول أو الســـور الســـتة عشرة المكونة لكتاب المجمـــوع ، وهو الكتاب المقدس الأول · وينتهى الحفل بصلاة · أما المرحلة الثـــالثة أو الجلســـة الثالثة والأخيرة فتتم بعد سبعة أو تسعة شـــهور بالتمام من الجلســـة الأولى وهى عبـــارة عن احتفال اكبر من سابقه يمثل فيه الامام عليـــا ويمثل نائباه النقيب والنجيب محمدا وســــلمانا اما النقباء الأثنى عشر فيذكروننا بحوارى عيسى · وفى هذا الحفل يكشف للمستجد عن أعظم الاسرار وأولها وهو معنى عمس الذى طالما اثار فضولة · وهكذا يصبح هذا الشــــاب المســـتجد نصيريا · ويتضح لنا مما ســـبق ان العقيدة النصيرية لاعتمادها على الاسرار هى اساسا عقيــــده باطنيــــة تأخـــذ بالتــأويل ·

وينقسم النصيرية الى طبقتين طبقة الخاصة وهى طبقة الشيوخ وهى مكونة ممن ينتمون لعائلات المشايخ وممن استجابوا للدعوة · أما العامة فهم الفـــلاحون الذين لم يتلقوا أية دعـــوة والذين لا يعرفون الا أبســـط المفاهيم الدينية · ولا تتاح لنســـاء النصيرية فرصة الاعداد الدينى كما انه ليس من حقهن ممارسة الشـــعائر الدينية ، وكل ما يمكن أن يتعلمنه هو ســــورة التطهير ·

(د) الخضــــــر :

يقدس النصيرية الخضر وعبادتهم له من أعجب الاشكال التى يتجلى فيها الاحساس الدينى الشعبى البسيط · والخضر شـــخصية اســـطورية نجدها عند المسيحيين متخذة اسم مارجرجس أو سان جورج ، ونجـــدها فى الأساطير الوثنية القديمة هى المخلص الأعظم · وهو عند النصيرية المخلص أيضا ، وكانت أعظم كراماته فيما يدعون تخليصه للبلاد من وحش أسطورى رهيب كان لابد من تقديم فتاة صغيرة له كل عـــام · وهـــذه الأسطورة نجدها على امتداد الساحل الفينيقى · والخضر مذكور فى القرآن بكسر الخاء بينما ينطق النصيرية هذا الاسم بضم الخاء · والغـــريب ان كتاب المجموع لا يذكره الا مرة واحدة ، ومعنى هذا انه لا يحتل مكانة كبيرة فى الدين المدون كما قد يكون انه رمز لكل الرسل ومنهم عيسى

ومحمد · وبالنسبة للعامة يمثل الخضر الوهية على · ويقدم النصرية الخضر القرابين المختلفة من خيول وجمال وبغال كما ينذر له الأطفال والفتيات منهم بوجه خاص وعندما تنذر فتاة للخضر أو للقديس جورج فان جزءا من دوطتها وقت زواجها لابد أن يقدم له · وتدفع النذور لرئيس الدير ، ولكثرة هذه النذور يعين الدير وكلاء لجمعها فى الجبل ·

٣ ـ مؤلفـــــاتهم :

أهم مؤلفات النصيرية الدينية على الاطلاق هى كتابهم المقدس « كتاب المجموع » الذى يمثل أعظم مصـــدر للراغبين فى الوقوف على النصيرية · وهو مكون من ست عشرة سورة تضم صلواتهم وكل عقيدتهم · ولا نعرف متى وضع هذا الكتاب وان جاء فيه ان الخصيبى هو الذى صاغ عقيدة وابتهالات النصيرية فى شكلها النهائى · وثمة اسطورة منتشرة تدعى أن النبى محمدا هو صاحب هذا الكتاب وقد اهداه الى النصيرية دون أن يكشف عنه للمسلمين ، وقد سلمه للاثنى عشر نقيبا المذكورين فى السورة السادسة عشرة والى الاربعة وعشرين نجيبا ليلة العقبة بجوار مكة · ويتضح لقارىء هذا الكتاب أنه متأثر بكتابات الاسماعيلية ، وكل الأسماء الواردة فيه لشخصيات اسماعيلية · وكانت الكتابات الاسماعيلية قد تأثرت بشدة بالقرآن فتسرب هذا التأثير الى النصيرية ، وهذا يفسر لنا ذكر آيات قرآنية سليمة دون مساس تقريبا فى هذا الكتاب · وللمجموع تفسيرات عدة تختلف باختلاف فرق النصيرية وعلى النصيرى ان يقف على تفسيره ·

وهناك كتاب آخر وهو القداس الذى يشمل على قداس الطيب وقداس البخور وقداس الآذان وقداس التمام واسمه قداس الاشارة وجميعها تستخدم فى الاعياد · اما « الاعياد والدلالات » فهو من تاليف سعيد ميمون بن القاسم الطبرانى والتاثير الاسماعيلى واضح بما فيه · ويعد مؤلفه من ائمة العقيدة النصيرية فهو يلى فى المرتبة الخصيبى وكان أحد تلاميذ محمد بن على الجيلى · وبالكتاب تهكمات كثيرة على ابى بكر وعثمان · اما كتاب الأسس فمن الارجح انه من تاليف سليمان بن داوود ، الذى يحتل مكانة الانبياء عند النصيرية ؛ وهو يعرض لطبيعة الله

والخلق والملائكة وكل ما فى السماوات والأرض ، وقد صنف عام ١٢٠٦هـ اى فيما بين ١٧٩١م و ١٧٩٢ · وهو من حيث الشكل عبارة عن سلسلة من الاسئلة يثيرها السـائل فيجيب عليها العالم · وهناك كتاب الصراط تاليف المفضل بن عمر ، وكتاب مسائل أبى عبد الله بن هارون الصائغ عن شيخه أبى عبد الله الحسين بن حمـدان الخصيبى ، وكتـاب تعليم ديانة النصـــيرية ·

اما كتاب « الباكورة السليمانية فى كشف اسرار الديانة النصيرية » فهو من تأليف سليمان أفندى الأذنى وقد طبعه فى بيروت عام ١٨٦٣ ·وكان سليمان افندى هذا نصيريا شماليا ثم تحول الى اليهودية ثم الى الاسلام واخيرا الى المسيحية البروتستانتية · ولقد كشف لنا هذا الكتاب عن خبايا هذه الديانة السرية الباطنية ، ويعد هذا الكتاب من أوثق مصادرنا فى العصر الحديث ، خاصة وان معظم مؤلفات النصيرية الدينية ما يزال مخطوطا · ويمـكننا القـول أن كل أدبهم الدينى يشـهد بضحالة فـكرية شديدة وما كتابهم المقدس « كتاب المجموع » الا تقليد مشوه للقرآن ·

٤ ـ فـرق النصـــيرية :

يتفق النصيرية فى العقائد الاساسية كالثالوث والتناسخ والدعوة ، ولكنهم يختلفون فيما يتعليق بالرمز الخارجى الذى تتجلى فيـه الالوهية بطريقة تامة · والمقصود بالرمز تلك الظاهرة الطبيعية التى يمكن اعتبارها المحسوس الذى يتجلى فيه المعنى أى على ، أى الرمز الذى تدور حـوله العقيـدة · ولقـد انقسمت النصيرية الى أربع فـرق هى الشـمالية أو الشمسية ، والكلازية أو القمـرية ، والغيبية والحـيدرية وجميعها تؤمن بنفس الكتاب المقدس وهو « كتاب للمجموع » ولا تختلف الا فى المسائل الثـــانوية ·

والشمالية أو الشـــمسية ترى الشمس هى رمز الالوهيـة فهى التى يجب أن تعبد ، أما الكيلازية فتذهب الى أن هـذا الرمز هو القمر ، بينما تراه الغيبية الهواء ، وتؤكد الحيدرية أنه الشفق أو الضوء الذى يسبق شروق وغروب الشمس · تذهب الشمالية أو الشمسية الى أن الله أى عليا

الذى يوحدون بينه وبين السماء مقره الشمس التى تمثل محمدا · وبما ان محمدا هو المكان فمن المنطقى أن يكون على ساكنا فى الشمس · وهم يؤكدون الوهية محمد وهو ما حرمه القرآن ولذا تدينهم الفرق الأخرى وترى انه كان عليهم ان يستبدلوا باسم محمد اسم على · ويذهب الشماليون مدافعين عن عقيدتهم بان محمدا وعليا مرتبطان وليسا غرباء ، وبان عليا اذا كان هو العلة الأولى فان محمدا ايضا خالق · وينتشر الشماليون فى كل المناطق النصيرية وان تركزوا بالذات فى انطاكية · ولا نجد تفسيرا لهذه التسمية بالشماليين اى لتوحيدهم بين الشمال والشمس الا باعتبار الشمال عندهم هو مكان الشمس فى مسارها الليلى · ويبالغ الشماليون فى تقديسهم لمحمد ويستغلون نظرية الالة للمزج بين على ومحمد ولهذا يتأولون ما جاء فى المجموع فى السورة الخامسة فيقولون ان محمدا هو الاسم وهو يحتوى على صفات المعنى (أى على) وهو يجتمع به دون أن يتحد به تماما ، أو هو متحد به بالنور ومنفصل عنه بتجلى الظهور · ويتحد محمد بعلى اثناء الليل فى رايهم ولكنه ينفصل عنه اثناء النهار فمحمد هو الشمس اى مقر على اما الباب فهو القمر ·

اما الكيلازية او القمرية فيختلفون مع الشمالية ولذا يتأولون « كتاب المجموع » بما يتفق مع رايهم اى بما يجعل القمر هو رمز الالوهيه· واصبح الوجود اللامع الذى تتحدث عنه سور المجموع لا يشير عندهم الى الشمس ، بل الى القمر · وعندهم ان عليا ، هذه الالوهية المحجبة بعد أن ظهر على الارض اختار القمر مقرا له · وهو يوجد بالذات فى الجزء المظلم من القمر المحتجب عن العيون الذى يبدو لامعا فى ضوء النهار · الا ان هذا التفسير لا يتفق ابدا مع ما جاء فى « كتاب المجموع » وهو ما يتضح لقارئه الموضوعى · وكل مؤلفات الكيلازية الدينية عبارة عن اشعار عن القمر ·

ويعتقد الغيبية ان الله قد تجلى اى ظهر ثم اصبح غير مرئى وان العصور الحالية من عصور الغيبة، وما الغيبة الا حالة الاختفاء المطلق للألوهية · أصل اسمهم يرجع اذن الى ان الله عندهم فى كل مكان دون ان يرى اى هو الهواء · وهم يستبدلون بتعبير « هو » الذى جاء فى السورة

الأولى من الباكورة : « وانت ياعلى بن ابى طالب الدليل عليه والكل أنت هو ياهو ياهو يامن لا يعلم ما هو الا هو » كلمة « هواء » · ويذهبون الى أن الائمة الاحد عشر الذين يتبعون عليـا يعـدون ممثلين لفترة الغيب · أما الحيدرية فيمثلون اكبر الفارق عددا وقد تاثروا اكثر من سائر الفـرق بالمعتقدات الاجنبية على الاسلام · وترجع تسميتهم بهذا الاسم الى حيدر اى الاسد وهو اللقب الذى كان على قد اكتسبه لشجاعته فى المعارك ،وهذا اللقب موجود فى سور كتاب « المجموع » ·

٥ ــ الشــــعائر والأعيـــاد :

بالرغم من أن النصيرية لا يقيمون دورا للعبادة الا أن بلادهم مليئة بالقباب المقامة فو قمم التلال وهى تغطى قبور القديسين ، وهم يجتمعون حولها فى أعيادهم وتحيط الأشجار العتيقة بهذه القبور · ولقد أصبحت هذه الاشجار مقـدسة هى ايضا عندهم · ويتمثل دين العـامة فى زيادة هذه القبور وفى تقـديم القرابين لها ، اما دين الخاصة المستجيبين فيتمثل فى وقـوفهم على المعنى المقـدس لسر « عمس » وفى معرفتهم لتـأويلات الكتب المقدسة ويطلق على القبـاب أيضا « مـزارات » جمع مزاد لأنما اماكن للحجوهى الأبنية الدينية الوحيدة وغالبا ما تكون على شكل بنـاء مربع صغير تعلوه قبه طليت بعناية باللون الابيض · اما المساجد فهى غير مطروقة لدى النصيرية ولقد باء بالفشل كل المحاولات التى بذلت منذ عهد الملل الظاهر حتى السلطان عبد الحميد لاقامتها فى جبل النصرية ·

والشعائر الاسلامية الأصل قليـلة عند النصيرية وقـد تسربت اليهم بطريقة تلقـائية بواسطة العقيدة الاسماعيلية التى استمالتهم فى القـرن الثامن الهجرى مثل الصلاة خمس مرات وجواز الزواج باربع ، الا أنهم قد أخذوا بظاهر هـذه الشـعائر دون الاحتفاظ بدلالتها · وما يزال تفسير وجود كثير من العناصر المسيحية فى شعائر النصرية الدينية من الاسرار التى يحرصون على الاحتفاظ بها وافشاؤها عقوبته الموت · وعندهم ان الانسان يمـكن ان يمـارس علنا شـعائر الدين المسيحى بين المسيحين ، وشعائر الدين الاسلامى اذا كان بين المسلمين تقية · وهم يقولون : نحن النصيرية بمثابة الاجساد والاديان الأخـرى بمثـابة الاردية · والرداء

لا يغير طبيعة الانسان فهو يتركه كما هـو · وهكذا نحـن دائما نصيرية وان مارسنا فى العلينة الشعائر الدينية الخاصة بجيراننا ولو فعلنا غير ذلك لكتنا اشبه بالمجانين الذين يسيرون عرايا فى الشـوارع » · وكانت السرية التى تحيط بشـعائرهم مبعث ريبة المسـلمين مما كان يدفعهم الى اساءة معاملتهم · وكان رد النصيرية على هذه الاهانات المتتالية هو رد الضعفاء اى لعن الاسلام والدعاء بانهيار السلطة العثمانية · ومنذ عام ١٩٢٩ اى منـذ ان اصبحت لهم دولة مسـتقلة هى دولة العـلويين وان اندمجت فى سوريا بعد اعـلان هـذه الجمهورية · اصـبح النصيرية لا يترددون فى الاعلان عن دينهم · وهم يجـلون زعمـاءهم الدينيين او « شيوخ الدين » ، كما يطلقون عليهم فى مقابل « شيوخ العلم » ؛ وهو اللقب الذى يطلقونه على الزعماء السياسيين · وهم يقيمون القباب فوق مقـابر الشـيوخ ؛ ويحـرص هؤلاء المشـايخ على هيبتهم امام العـامة فلا يظهرون بمظهر من لهم احتياجات جسمانية عادية كالأكل والشرب ·

والشـهادة عندهم تقليد لصيغة الشـهادة الاسلامية وهى : « أشهد ان لا اله الا على بن ابى طالب » وهى مذكورة فى السورة الحادية عشرة من المجموع ·

والنصيرية يتأولون فريضـة الحج الاسـلامية بأن البيت المـأمور زيارته فى القرآن المقصود به معـرفة على بن ابى طالب ومحمد وفاطمة والحسن والحسين ومحسن سر الخفى والشريف الهاشمى والمقداد وجعفر الصـادق وابى الدر · فعلى هو سقف هـذا البيت ، ومحمد هـو البيت ، وفاطمة هى ارضه والحسن والحسين هما القبتـان ، ومحسن سر الخفى هـو الزاوية الغامضـة الخفيـة التى هى فى نصف البيت ، اما الشريف الهاشمى فهو صاحب البيت العلوى ، واما المقداد فهو الصفا واما جعفر الصادق فهو حلقة باب البيت واما ابو الدر فهو المروة ، والصلاة عندهم خمسة ، الظهر هى صلاة لمحمد ، والعصر لفاطر وهى فاطمـة عندهم ، والمغرب للحسن ، والعشاء للحسين ، والصباح لمحسن جعفر الخفى ·

ليس لدى النصيرية اعياد خاصة بهم ولذا فان اغلب اعيادهم شديدة الشبه باعياد المسيحية · ولقد تسربت اليهم من الاسماعيلية مجموعة من

الاحتفالات الشيعية والفارسية · وهم لا يجتمعون فى أعيادهم فى هياكل مثــلا بل فى دار أحــد الأثرياء الذى يقيم الاحتفــال على نفقته · وفى الاحتفال يقرأ الشيوخ بعض الآيات ويرتلون بعض الصــلوات ثم ينتهى الحفل بغداء · وأكبر أعياد النصيرية هو عيد الغدير فى ١٨ ذى الحجــة الذى يحتفل فيه بنزول الآية « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك فان لم تفعل فما بلغت رسالة الله والله يعصمك من الناس » والاحتفال بعيد الغدير نجده عند كل الشيعة ولكن بينما يذهب سائر الشيعة الى ان محمدا فى ذلك اليوم عين عليا وصيا له فان النصيرية لغالاتهم فى تقـديس على يعتبرونه اليوم الذى أعلن فيــه محمد ان عليا هو المعنى أى هو جــوهر الالوهية · كما يحتفل النصيرية بعيد شيعى آخر هو عيد عاشوراء الموافق للعاشر من محرم وهو ذكرى مقتل الحسين وأهله فى كربلاء · ولديهم عيد لا نجد له مثيل عند الشيعة وهو عيد الفراش الذى يحتفل بذكرى نوم على فى فراش محمد ليلة الهجرة كى يتثنى لمحمد النجاة مما كان يضمره له الاعداء · ولعل العيد الوحيد الذى اقتبسته النصيرية من الاسلام هو عيد الأضحى فى العاشر من ذى الحجة · والأعياد المسيحية التى يحتفلون بها عديدة وهى ما يميزهم عن غيرهم من فرق الشيعة · وأهم هذه الأعياد عيد أول العام أو عيد الميلاد وعيد الغطاس وعيد الزعف وعيد النصح ، كما يحتفلون بذكرى شــهداء الكنيسة الشرقية مثــل ذكرى سانت كاترين · ويرجع بعض الباحثين المسيحيين المتعصبين دينيا احتفال النصيرية بأعياد المسيحية الى تبعيــة تلك الطائفة الاقتصادية للمسيحيين المجــاورين لهم تلك التبعيــة الى تدفعهم الى تمــلق المســيحيين · ويرد على هــؤلاء بأن المســيحيين يكونون اقليــة فى تلك المنطقــة وربمــا كان تفسير الاحتفال بالاعياد بالتبعية الاقتصادية يصدق على الاعياد المقتبسة من الاسلام اكثر مما يصدق على الاحتفال بالاعيــاد المسيحية لان المســلمين هم الأكثرية المسيطرة اقتصاديا فى تلك المنطقة ·

الخــــــاتمة

يحرص بعض الباحثين المسيحيين على تاكيد ان النصيرية يمثلون مثالا واضحا لطائفة انتقلت مباشرة من الوثنية الى العقيدة الاسماعيلية مما يتيح لهم اعتبارها من الفرق الاســلامية منكرين انها مرت بمرحلة اعتناق للدين المسيحى • ورأى هؤلاء يتعارض مع ما لمســناه من أخذ النصيرية بالكثير من العنـاصر الدينية المسـيحية ومن نقـل لكثير من الأعياد ولبعض الشعائر المسيحية • ويمكننا القول ان الاسلام قدم لهـذه الفرقة شكلا جديدا لعبادتهم القديمة المتمثلة أساسا فى العبـادة الوثنية للطبيعة ، أى أنه قدم لهم اسماء جديدة لمفاهيم قديمة • ولذا يمكننا القول أن النصيرية مثلها مثل الدزية والعلى الهى مشتقة من الاسماعيلية السبعية الباطنية وبالتالى فصلتها بالاسلام صلة شكلية فحسب ، هذا بالرغم من بعض المحـاولات التى تقوم بهـا للظهور بمظهر الاسـلام • والعجيب أن النصيرية يعتبرون أنفسهم أهل التوحيد الحقيقيين دون سائر المسلمين ، فهم يعتقدون أن لديهم التأويل السليم الملتزم بفكر الشيعة ويعتبرون سائر الشيعة ظاهرية مقصرة لم تستطع النفاذ الى أعماق التوحيد الحق !

وفى رأينا ان النصيرية قـد أخـذت من الدين المسيحى اكثر ممـا أخذت من الدين الاسلامى ، ويكفى أن عقيدة التثليث عندهم هى محور العقيدة وكذلك عقيدة التجسد وان حاول البـاحثون المسيحيون ارجاع هاتين العقيدتين الى أصل وثنى قديم • هى خليط من المسيحية المشوهة ومن الوثنية سواء كانت الفينيقية أو الغنوصية أو المـانوية أو المجوسية ومن الاســماعيلية الباطنية المغالية ولكنها تخلـــو تماما من أى عنصر اسلامى ســنى •

ولقـد اتفق المسيحيون والمسـلمون على ادانة النصيرية اخلاقيـا تجلى ذلك فى كتب أعدائهم من الدروز وعلى رأسها كتاب حمزة الذى

كان وزيرا للحاكم بأمر الله ، كما تجلى فى فتوه ابن تيمية التى تمثل جهود المسلمين السنيين فى بعض البدع الدينية ٠

والدراسة الموضوعية للمؤلفات النصيرية الدينية والدراسة التحليلية النقـدية لعقيدتهم تجعل الباحث يستغرق فى حيرة شديدة من أمر هــذه الطائفة التى مازالت تحتفظ فى القرن العشرين بمثل هذا الـكم من البـدع والخرافات والأساطير ٠

المراجـــــــع

ـ الأشعرى مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ـ نشر وتحقيق ريتر ـ جزاءن ـ أستانبول ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ ·

ـ الايجى : المواقف ـ قام بطبعه ونشره ابراهيم الدسوقى عطية وأحمد محمد الحنبولى ـ مطبعة العلوم ـ ١٣٥٧هـ ·

ـ البغدادى : الفرق بين الفرق ـ نشر وتعليق محمد بدر ـ مطبعة المعارف ـ مصر ١٩١٠ ·

ـ الشهر ستانى : الملل والنحل ـ مطبعة بولاق بمصر ١٢٦٣هـ ·

ـ نوفل أفندى نوفل : كتاب سوسنة سليمان فى أصول العقائد والاديان ـ المطبعة الامريكية فى بيروت سنة ١٩٢٢ ·

— Dussaud (René) : Histoire et religion des Nosairis-Paris 1900.

— Encyclopédie de l'Islam, Nusairi-Tome III.

— Goldziher (Ignas) : Le doghe et la loi de l'Islam-Traduction de Félix Arin-Paris 1920.

— Lammens (Henri) : Les Nosairis-Notes sur leur histoire et leur religion-Beyrouth 1899.

— Lammens (Henri) : L'Islam-Croyances et institutions-Imprimerie catholique-Beyrouth 1926.

— Lammens (Henri) : Au pays des Nossairis-Extrait de la revue de l'Orient Chrétien-Paris 1900.

— De Sacy (Silvestre) : Exposé de la religion des Druzes-2 tomes-Paris 1838.

الفصل الرابع

البـــابية والبهـــائية

اولا ـ البابيـــة :

١ ـ البـــاب :

شـــهد القرن التـــاسع عشر ثلاث فرق اسـلامية تلفيقية الى حد كبير هى الأحمدية فى الهند التى يطلق عليها كذلك القديانية وقد أسسها غلام أحمد (١٨٣٩ ـ ١٩٠٨) والبابية فى ايران التى أسسها ميرزا على محمد الملقب بالباب (١٨١٩ ـ ١٨٥٠) والبهائية التى حلت محل البابية بدءا من عام ١٨٦٣ وهى تلك الفرقة التى أسسها ميرزا حسين على نورى الذى اشتهر باسم بهاء الله · وللوقوف على البهائية لابد من الرجـوع لأصولها ونعنى بهـا عقيدة البابية التى كانت للبهـائية بمـكانة الأصـل والمنبت ·

كانت الأحوال السياسية فى الدولة الفارسية قد ساءت الى حد كبير جدا ولذا تلهف الشعب الفارسى على ظهور مخلص يكون له طابع دنيى يحقق له المعجزة · وليس هذا بالأمر الغريب ، انما هذا شأن الشعوب المتخلفة دائما اذا ما اعتصرتها المشاكل والمحـن وشق عليها الحـل الانسانى انصرفت عنه وانتظرت المخلص · وسرعان ما تحقق « أمل » الشعب بظهور المهدى المنتظر الذى اتخذ لنفسه اسـم الباب ، فالتف حوله الناس معتقدين أن دعوته انما هى دعوة اسلامية أصيلة · ولد الباب واسمه ميرزا على محمد فى شيراز فى أول محرم سـنة ١٢٣٥ هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٨١٩ ، من أب تاجر هو ميرزا رضا البزاز وأم أدعت أنها من نسـل فاطمة بنت الرســول · توفى والده وهو طفل فتولاه خاله الذى كان يعمل بالتجـارة والذى سيعمل معه فيها بابنا فيما بعد درس مبدىء اللغتين الفارسية والعربية وان ادعت البابية بعد ذلك أنه

كان أميا تماما وأن كل ما جاء به كان وحيا · تلقى تعاليم الشيعة من فرقة تدعى الشيخية كانت قد انفصلت عن الشـيعة الامامية التى تمثل أغلبية الشـعب الفارسى · والشـيخية التى أسسها الشيخ أحمـد الاحسائى فى القرن الثانى عشر الهجرى طورت مفهوم المهدى المنتظر فلم يعد هو ذلك الذى ولد من مئات السنين واختفى على أن يعـود فى يوم موعود ، بل هو شخص سيولد فى يوم موعود · وبهذا خالفت أصـلا جوهريا من أصول عقيدة الشيعة الاثنى عشرية بل والاسماعيلية ، وفُتحت الباب على مصرعيه لامكان ظهور مهديين أو مدعين للمهدية فى نطـاق التشيع · وكان كاظم رشتى خليفة الشيخ الاحسائى يبشر بقرب ظهـور الامام المهدى المنتظر ولذا عندما ظهر الباب وأدعى دعوته وهو أصـلا من أتبـاع الشـيخية ، اعتبرته هـذه ممهدا أو مبشرا بظهـور المهـدى المنتظـر ·

نعود لميرزا على محمد لنقول انه شـاع عنه قضاء النهـار بطوله فوق سـطح منزله فى بوشـهر ، حيث كان يقيم مع خاله بعد وفاة والـده ، تحت أشـعة الشمس المحـرقة حاسر الرأس منهمكا فى الاذكار وفى تلاوة الاوراد · ومن المعروف أن المتصوف المتعبد يحتاج للخلـوة بنفسه فى مكان هادىء لا يشغله فيه شيئا عن التوجه لله ، أما اختيار مكانا حارا للغـاية عمدا فانما يدل على نوع من الخبل بلا شك ! وأنهى ميرزا على محمد اعتكافه بظهوره بين الناس وبادعائه أنه باب المهدى · أقبل عليه البعض مؤمنين بدعـوته فلما بلغوا الثمانية عشر أسـماهم بحروف لفظة « حى » التى تبلغ بحسـاب الحروف ثمانية عشر · أرسـل هؤلاء دعاة لمذهبه ومبشرين بظهوره الى كل من خراسـان وكرمان دون بقية بلاد ايران · وسبب اقتصاره على خراسـان محاولة استغلال رواه أحمد البيهقى فى كتاب « دلائل النبـوة » جاء فيه « اذا رأيتم الرايات السود من قبل خراسـان فأتوها فان فيها خليفة الله المهدى » ·

وقد سـمى ميرزا على محمد بالباب (أى باب المهدى) نسبة الى ما جاء فى القرآن « وآتوا البيوت من أبوابها » والى الحديث النبـوى :

« أنا مدينة العـلم وعلى بابها » ، فهو الباب الذى سيؤدى بالناس الى معرفة المهدى المنتظر أى أن بواسطته سيتعرف النـاس على الامام الثانى عشر الذى تنتظره الشيعة الاثنا عشرية ٠

ولا نرى ضرورة لتتبع أحداث حياة الباب العجيبة ونكتفى بالقـول أنه هو ودعوته سببا الكثير من الاضطرابات والقلق للحكومة الايرانية ولذا أعدمته فى السـابع والعشرين من شـعبان عـام ١٢٦٦ هـ الموافق التاسع من يوليو من عام ١٨٥٠ ٠ ولقد تركت جثته وجثة زميله فى العراء لتنهشهما الكلاب الى أن دفنه أتباعه فى مستودع سرى ٠ ثم نقل جثمانه الى فلسـطين بعد عدة سـنوات وأقيم له قبر عظيم فيها فى عكا ٠ والى جوار هذا القبر أقام فيما بعد بهاء الله طوال اقامته فى عكا حتى جاءته المنية فدفن فيه بدوره ٠

٢ ـ العقيـدة البـابية :

فى البـداية أعلن ميرزا على محمد أنه البـاب الذى يبشر بظهور المهدى المنتظر ٠ ولكن الطموح الانسـانى الذى يحثه النجـاح دفـع بالباب الى تطوير مفهوم الباب فلم يعد هو المبشر بالمهدى المنتظر المستور بل أصبح هو ذاته ذلك المهدى المنتظر الذى سيهدى العالم للحق ٠ يقول فى البيـان : « وانتى أنا القـائم الذى كل ينتظرون يومه وكل به يوعدون وقد خلقنى الله بأمره وجعلنى قائما على كل نفس بما قد أتانى الله من الآيات والبينات انه هو المهيمن القيـوم ولعمرى أول من سجد لى محمد ثم على ثم الذين هم شهداء من بعده ثم أبواب المهـدى » ٠ وربما كانت عقيدة الامام والمهدى المنتظر هى العقيدة الوحيـدة التى احتفظت بهـا البابية من عقائد الشيعة الامامية كما أنها نقطة الالتقاء الوحيدة بينها وبين الاسلام أما فيما عداها فليست ثمة علاقة بين البابية والمبـادىء الاسـلامية ٠

لقد استلهم الباب غلاة الشـيعة وخاصـة الاسماعيلية الباطنيه لوضـع نظريتـه ولم يقف عند هـذا الحد بل ترك لقب البـاب وادعى أنه النقطة ٠ وتفسيره للنقطة عجيب يقول فى البيـان : « ان محمدا كان بمقام الألف وأنا بمقام النقطة » ٠ والنقطة عنده ليس مجرد نبى بل هو

تشخيص أو تجسيد لله ٠ وعندما بلغت به الجراة هذا الحد واصبح يلقب نفسه بالنقطة تخلى عن لقب باب الباب لاحد اتبـــاعه وهو ملا حسين بشرويه الخراســـانى الذى سيصبح فيما بعد بهاء الله ٠ ومن الألقاب التى اتخذها ميرزا على محمد لنفسه لقب الذكر مدعيا انه المراد من الآية « انا نحن نزلنـا الذكر وانا له لحافظون » ومن الآية « فاسئلوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » ٠ وكذلك لقب خالق الحق ! ٠ وهذه الألقاب التى خلعها على نفســه تعكس تصوراته للدور الذى ارتآه لنفســه بل وللعقيدة بأكملها ٠

ومن العقائد التى أخذ بها الباب والتى سبق أن أوضحناها ونحن بصدد حديثنا عن عقائد الامامية عقيدة البداء ٠ الا أن البـاب كعادته حرف هذه العقيدة الشيعية الاساسية تحريفا كبيرا بحيث أصبحت على يديه مختلفة تماما عما كانت عليه أصلا ٠ لقد أصبحت البداء عنده قدرة الله على الرجوع عن أوامره الســابقة ٠ ومن الجلى أن الاسلام لا يحوى مثل هذه العقيدة فمفهوم الالوهية الاســلامى مما يتعارض مع هذا المفهوم العجيب ٠ والاســلام عندما يقول بالنسخ يعنى تغيير الله لبعض القواعد التشريعية التى جاء بها الرســـل السابقون على محمد والتى عدلها الله لتتناسب مع التغيير الذى طرأ على تطور الحيـاة الانســـانية ٠ وفى اعتقادنا أن الباب قال بهذه العقيدة ليبرر كل ما يتناقض فى مذهبه مع ما جاء فى الاديان الســماوية الثلاثة الســـابقة ٠

وادعى الباب ان الله واحد تماما كما هو واحد فى الاســلام وفى ســائر العقائد الســماوية الا أن المدقق فى هــذا الادعــاء يتضح له أن وحدة الله عنده ليست وحدة حقيقية بل هى وحدة بين جوهرين : الجوهر الالهى وهو الله والفيض الصــادر عنه الذى يخلق كل شىء ، وما هــذا الفيض الا النقطة كما ذكر فى البيـــان ٠ خالق الكون عند البـاب ليس هو الله اذن انما هو النقطة أى نقطة بدء الخلق ٠ وهكذا جعل البـاب نفسه هو الخالق ، وهو الذى بعث بكل الرســل الى البشرية وهو الذى تجسد فيهم على التـوالى ٠ تجســـد ـ فيما ذهب ـ فى آدم ، ثم فى ابراهيم ، ثم فى موسى ، ففى المسيح ، وفى محمــد ، بل وليس هنــاك ما يمنع تجسده فى المســـتقبل فى كل خلفائه ٠ وهكذا ابتعدت البابية

تماما عن المفهوم الاسلامى للنبوة ، فالأنبياء لديها ليسوا بشرا كما تقول العقيدة الاسلامية وتصر على ذلك ، بل هم تجسيدات مختلفة للفيض الالهى · وليس بغريب قول الباب بذلك المفهوم الأقرب الى مفهوم التناسخ ، اذ أن هذا الأخير كان من المعتقدات الباطنية التى انتشرت فى بلاد العجم منذ بدء التشيع · ولذا لم يكن بغريب ان يدعى بعض اتباع الباب ، استغلالا لهذا المفهوم التراثى الراسخ فى نفوس الفرس ، أن الباب هو الحسن ، وان يدعى بعضهم أنه الحسين ، وأن يدعى بعض ثالث أنه غيرهما من الأئمة · نسبت البابية كل صفات الالوهية للفيض او للنقطة ، وسلبتها من مفهوم الله فأصبح عندها جوهرا بلا اسم ولا وظيفة ! ·

وميرزا على محمد لا يعترف بالبعث ولا بيوم الحساب بالمعنى الذى جاء به فى القرآن · فالبعث عنده بعثان أولهما ساعة أن أعلن رسالته كمهدى منتظر أى الساعة الثانية والدقيقة الحادية عشرة من غروب شمس اليوم الرابع الموافق الخامس من جمادى الأول سنة ١٢٦٠ هـ · ولا ندرى كيف فات دقته العلمية تحديد التوقيت الذى التزم به · أما قبل هذا البعث فكان الناس يجهلون الحقيقة ويعيشون بلا هدف ، حياة جسمانية فحسب ، والحياة الجسمانية هى والموت واحد · وبظهوره ظهرت الحقيقة ولم يعد هؤلاء الناس جهلاء انما هم بعثوا للحياة الحقيقية بعد أن كانوا أمواتا · والناس بعبادتهم للباب ـ فيما أدعى هو ـ يحققون الهدف من وجودهم ويستمتعون بمباهج هذا الوجود أما اذا تجاهلوا الباب فسيحكم عليهم بمواصلة حياة الجهل التى لا هدف لها ولا مباهج فيها ، تلك الحياة الجسمانية التى هى أشبه بالموت · أما البعث الثانى فهو ذلك الذى يتجسد فيه هو مرة أخرى فى صورة انسانية جديدة بعد أن يكون انهى وجوده الأرضى الأول · هذا البعث هو أذن بعثه هو وليس بعث البشر جميعا · وكما جعل البعث بعثين جعل الحساب حسابين الاول هو الحساب الصغير ويتمثل فى محاسبة كل نبى للناس فى عصره على موقفهم من النبى السابق عليه ومعنى هذا أن الباب جاء فى الأرض ليحاسب الناس على موقفهم من محمد الذى كان قد جاء بدوره ليحاسب الناس على موقفهم من عيسى ، وهكذا · أما الحساب

الكبير فسيكون يوم أن يبعث الباب مرة اخرى كما سبق ان بينا عند الحديث عن البعث الثانى ٠

ومما اخذه الباب عن الاسماعيلية اهتمامهم بالحروف وعنايتهم الفائقة ببيان قيمتها العددية ٠ وذهب الى ان أهم هذه الحروف على الاطلاق هى تلك التى تكون تعبير « بهاء الله » اذ أن هذا التعبير يعبر عن الوحدة الالهية ، وقيمته العددية تسعة عشر ٠ ولقد جعل هذا الرقم رقما مقدسا كما جعله نقطة ارتكاز لكل حساباته وتفسيراته العددية للامور المختلفة تلك التفسيرات التى شغلت جانبا كبيرا من افكاره وكتاباته ٠ ومرة اخرى يطرح نفسه علينا هذا السؤال الفلسفى الخالد : لماذا ؟ لماذا اختار الباب الرقم تسعة عشر بالذات ؟ قلنا أن تعبير « بهاء الله » عنده قيمته تسعة عشر ، وما نضيفه الآن أن هذا التعبير مرادف للفظة « الحى » فى مذهبه ٠ واكد الباب أن حروف « الحى » أو « بهاء الله » هى كناية عن تسعة عشر انسانا هو أولهم ، ويأتى بعده على التوالى ملا على محمد البارفروشى أو المازندرانى الملقب بالقدوس ، فملا حسين بشرويه الملقب بباب الباب والذى سيصبح فيما بعد بهاء الله ، فاقا محمد حسن وهو اخوه ، فاقا ميرزا باقر الصغير وهو ابن خاله ، فملا على البسطامى ، فقرة العين الطاهرة تلك المرأة اللغز التى نؤجل الحديث عنها قليلا (والغريب انها لم تلتق بالباب ابدا) ٠ فمحمد ابدال ، فكاتب ولى الباب اقا السيد حسين اليزدى بن اقا السيد احمد ، فميرزا محمد روضة ، فخوان اليزدى ، فسعيد الهندى ، فملا محمد الخوئى ،فملا خدا يخشى القوجانى ، فملا جليل الرومى ، فملا باقر التبريزى ، فملا يوسف الاردبيلى ، فميرزا هادى القزوينى ، فميرزا محمد القزوينى ، فملا حسين البجستانى ٠ والغريب أن هذا الأخير تراجع تماما عن موقفه وانكر الباب والبابية على اثر مقتل الباب ولما سئل عن سبب ذلك اجاب مفسرا موقفه « اننى لم اكن جديرا بأن أعد من حروف الحى لأن هذا المقام فوق كفاءتى وجدارتى » ٠ ومن الباحثين من يعلل تقديس البابية للرقم تسعة عشر بأن هذا الرقم يتكون من الرقم اثنى عشر وهو رمز الاثنى عشرية ، ومن الرقم تسعة وهو رمز الاسماعيلية ، اذ أن الباب استقى مذهبه من هاتين الفرقتين ، ونعتقد أن الرأى الأول اقرب للصواب لأنه يمثل التعليل الذى يقدمه

البابية انفسهم لاختيار هذا الرقم بالذات ليكون مقدسا ، اما الرأى الثانى فهو رأى الباحثين الذين يحـــاولون دراســة اى مذهب بمنهج التأثير والتأثر ولذا رأوا ان هذا الرقم المقدس هو خير دليل على تأثر البابية بكل من الاثنى عشرية والاسماعيلية ٠

واشترط البـــاب عدم تأويل او تفسير نص من نصوص بيانه ذهب فيه الى ان مدة الوهيته هى ٢٠٣١ عاما يطلق عليها اسم المستغاث ٠ وكل من يدعى شيئا فى غضون مدة المستغاث هذه فلا يقبل منه اطلاقا ، اما من يدعى شيئا بعدها فطاعته واجبة ٠ يقول فى البيـــان « كل من ادعى امرا قبل ســـنين المستغاث فهو مفتر كذاب اقتلوه » وهكذا اراد هذا المختل ان يضمن لمذهبه الاســـتقرار بواسـطة الارهـــاب والتهديد بالقتل لمدة الفى عــام ! ٠

وجعل البـــاب قبلة الصـــلاة شخصه اذا كان حاضرا او المنزل الذى ولد به فى شيراز ان كان غائبا ، كما جعل هذا المنزل هـــو مكان حج الاتباع ٠ وجعل الصلاة ركعتين فحسب وقت الصباح ٠ اما الصـــوم فهو لمدة شـــهر من الشهور البابية اى لمدة تسعة عشر يوما على ان يكون اول ايام عيد الفطر هو يوم ٢١ مارس اى يوم عيد النيروز وهو عيد الربيــع عند الفرس ٠ ومن احكامه التى ينكرها اتباعه انه يجب تخريب جميع الاماكن المقدســـة كمكة وبيت المقدس وقبـــور الأنبياء عند الاستطاعة اى عند امتلاك الســلطة ٠ وكذلك وضع البـــاب قواعــد للزواج والطلاق فحبذ الزواج بواحدة وان سمح بالزواج باثنتين ، وحارب الطلاق وان ســـمح به تســع عشرة مرة متتالية بين الزوجين على ان يكـــون بين الزواج والطلاق تسعة عشر يوما على الأقل ٠ ولا تجوز الحيــاة الزوجية بعد الطلاق التاســـع عشر ٠

ولم يكتف بالاهتمام بالجانب الدينى فحسب بل اهتم ايضا بالجانب الأخلاقى فنـــادى بالمســـاواة وبالاخاء بين جميع البشر ، وليس بين المسلمين فحسب ، كما نادى بالمســـاواة بين الرجل والمرأة ٠ وكان للباب موقف عجيب من العلم والتعليم اذ حاربهما وذهب الى انه يكفى تعلم القراءة والكتابة والحساب ، اما ســـائر المعارف فلا داعى لدراستها اذ يكفى للوقوف عليها الرجوع لكتابه المقدس وهو البيـــان اذ انه يحتويها

جميعا ٠ ولم يكن موقفه من الاديان السابقة باقل عجبا ، لقد اصر على نسخها صراحة وخاصة شريعة القــران زاعماً ان كل دين افضــــل من الســــابق عليــه ٠

٣ ـ مؤلفــات البــــاب :

كان انتــاج البــاب كبيرا رديئا ، يكشف عن جهل شــديد بالعلوم الدينية واللغوية على حد ســواء ٠ ولعل البيــان هو اهم مؤلفاته على الاطلاق وكان قد وضعه عندما لاحظ اقبال النــــاس عليه معتقدين انه الملخص الذى طالما حلموا به ٠ وقد ســماه بالبيــــان مدعيا انه المشــار اليه فى القـــران الكريم بالآية « الرحمن علم القــران خلق الانســان علمه البيـــان » ٠ وتأول هذه الآية بان الانســـان هنا هو محمد اما البيان فهو كتابه هذا الذى نحن بصدده ٠ وللبيان صيغتان واحدة عربية واخرى فارســية ٠ ولقد نشر اســتاذنا المرحوم الشيخ الدكتور تاج فى نهاية كتابه عن البابية البيــان العربى وهو كتاب صغير للغـــاية لا يتعدى الثلاث وعشرين ورقة فحسب وهو سلسلة من الخلط والعبث ، ومحاولة صبيانية لصياغة بعض الافكار الساذجة على نمط اســـلوب القـــران ٠ وكانت هذه المحاولة الفاشلة دليــلا قاطعا على جهل صاحبها الشــديد باللغة العربية ٠ وقد علل الباب ركاكة لغته العربية تعليلا يدل على عقلية امتلأت بالخرافت والأوهام عندما قال ان الحروف والكلمات كانت قد ارتكبت المعصية فى الزمن الأول ولذا عوقبت على تلك الخطيئة بأن قيدت بسلاسل الاعراب ٠ وعندما جاء الباب خلصها ـ فيما يذهب ـ كما خلص كل المذنبين ولذا أصبحت حرة منطلقة لا تخضع لقيــود ٠ وربما لا يشعر الباحثــون الغربيون بتلك الركاكة اللغوية التى يحسها القارىء العــربى لأنهم غالبا لا يطلعون الا على ترجمته الفرنســية التى قام بها جوبينو محسنا لغته الأصلية تحسينا عظيما ٠ اما البيــان الفارسى فقد ترجمته العلامة نيكولاس وهو المتخصص الأول فى المذهب البــابى الى اللغــة الفرنســية ٠ والبيــــان الفارسى تكرار للموضوعات الأساسية المذكــورة فى البيــان العربى وان كان اضخم بسبب التفسيرات والايضاحات التى اضافها البــاب للأصــل العربى ٠

والبيــان هو كتاب الشريعة والأحكام البابية وفيه تأول صــاحبه الاخبــار والأحاديث النبــوية بما يؤيد مشروعه · ويكفى قراءة أى لوح من الواحه للتيقن من أن الرجل لم يكن لدية رســـالة من أى نوع يبلغها للنــاس · فهو على ســـبيل المثال يستعمل فى اللوح الثانى كل مشتقات كلمة القدم فى جمل لا معنى لها يكرر بعضها عدة مرات · ولقد ترك البــاب كلا من البيــان العربى والفارسى غير كاملين ولذا يذهب مؤرخو البهائية الى أن البـــاب فعل ذلك عمدا ليترك الفرصة لبهاء الله لاتمام العقيدة ! ·

واذا كان البيــان هو اهــم مؤلفاته فان اولها كان « الرســـالة العدلية فى الفرائض الاسلامية » الذى الفه وهو فى كربلاء حيث مشهد الحسين وفيه ينبذ فرائض الاسلام · ومن مؤلفاته كذلك شرح لســـورة يوسف يطلق عليه اسم « احسن القصص » · وهو تفسير سىء للغــاية لا يتعدى كونه مجموعة من الكلمات المرصوصة جنبا الى جنب بلا معنى · وقد كشف فية الباب عن غرور صبيانى لا يليق بالأنبيــاء عندما قال « انى افضل من محمد كما أن قرآنى افضل من قرآن محمد · واذا قال محمــد يعجز البشر عن الاتيان بسورة من سور القــرآن فانا اقول بعجز البشر عن الاتيان بحرف مثل حروف قرآنى · أن محمد كان بمقام الألف وانا بمقام النقطة » · وللباب كذلك كتاب على نسق الصحيفة السجادية المنسوبة للامام على بن حسين بن على ابن ابى طالب · وله كذلك شرح او تفسير لســورة العصر ، وله ايضا « صحيفة الحرمين » التى يطلق عليها البعض « صحيفة الحج » · اما « كتاب الروح » فهو عبارة عن مجموعة من الابتهالات والدعوات ، واما « قدوس الاسماء » فهو اكثر مؤلفــاته غموضا ·

٤ ـ تقييــم :

من الســـهل تقييم البابية فامرها واضح جلى لا يحتاج لعناء من الباحث لكشفه · فبالرغم من كونها استمدت أصولها من احدى طوائف الشيعة الاثنى عشرية ونعنى بها طائفة الشيخية الا انها لا تعدو فى بلورتها الأخيرة الا أن تكون تلفيقا غير متجانس من عقائد شيعية كلها مغالاة

وآراء فلسفية شتى منها الغنوصية ، ومن أديان مختلفة منها السماوى مثل اليهودية ومنها غير السماوى مثل البوذية · وبهذا الشكل البابية مذهب بعيد تماما عن الاسلام بل هى لا تمت بصلة حقيقية لأى دين سماوى اذ أنكرت كل المفاهيم الأساسية التى تقر بها كل الاديان المنزلة ولم تحتفظ منها الا باسمها بعد أن أعطتها مضمونا جديدا تماما · وخير مثال على ذلك مفاهيم الله والرسل والحساب والبعث · وقد اتفق علماء الأزهر الشريف فى مصر وعلماء الشيعة فى العراق وايران على تكفير البابية والبهائية التى انبثقت منها ·

ولنا أن نتساءل لماذا لقت هذه الدعوة على ما فيها من شطط واضح قبولا لدى الناس ؟ ربما احتاجت الاجابة عن هذا السؤال الى دراسات معرفية ـ اجتماعية طويلة الا أن القدر الذى وقفنا عليه من الحقائق يتيح لنا القول ان أهم عوامل النجاح النسبى الذى حققته البابية يرجع الى الجهل · وللجهل بالطبع أسبابه السياسية والاقتصادية العميقة · وهذا الجهل يجعل الناس يرون الأمل الوحيد فى الخلاص من مشاكلهم المتشابكة ومن أحوالهم المتردية يتمثل فى مبعوث من السماء هو المخلص ، أو فى تجسيد لله على الأرض سواء اتخذ لنفسه اسم الباب أو النقطة أو المهدى المنتظر · أما اذا حاولنا الوقوف على الأسباب الاجتماعية المختلفة سواء أكانت سياسية أم اقتصادية أم فكرية التى كانت وراء النجاح المؤقت للبابية لقلنا ان أهم هذه الأسباب ضعف الحكومة الفارسية نتيجة للانتفاضات الشعبية المتلاحقة التى هزتها بعنف من جهة ، ونتيجة للصراع على السلطة من جهة أخرى ذلك الصراع الذى كان الشاه محمد شاه أحد طرفيه بالطبع وكان أعمامه هم طرفه الثانى · أما ثانى هذه الاسباب فهو تبديد جهد الدولة فى محاولة قمع عصيان الافغان الذين كانوا يتبعون الدولة الايرانية والذين استطاعوا فى نهاية صراعهم مع الدولة الحصول على الاستقلال · وثالث أسباب نجاح البابية هو فساد الجهاز الحاكم واستغلاله للرعية ، وموالاة بعض المسئولين وعلى رأسهم ميرزا آقا خان النورى المازندرانى الى انجلترا ، وموالاة البعض الآخر لروسيا · فاذا أضفنا الى هذه الأسباب انحدار

الفقهاء الى جهل لا يليق برسالتهم فى الأمة والى استغلال بشع للناس ، واضطهاد الحكومة للعلماء الحقيقيين ومطاردتها لهم لعلمها بأنهم يمثلون الخطر الحقيقى عليها لأدركنا أن جوهر أسباب ظهور الحركات السرية الغريبة فى كل زمان وفى كل مكان لا يتغير ·

ثانيا ـ البهائية :

١ ـ بهاء الله :

كان الباب قد عين لخلافته أخوين من نبلاء الفرس هما ابنين لأحد الوزراء هما ميرزا يحيى على نورى وميرزا حسين على نورى · وكان لقب الأول هو صبح أزل ولقب الثانى هو بهاء الله · ولد بهاء الله فى الثانى من محرم من عام ٢٣٣ هجريا أو فى الثانى عشر من نوفمبر من عام ١٨١٧ فى اقليم مازلدران · وفى سن الثلاثين اعتنق بهاء الله البابية وذاع صيته لبلاغته وثقافته العريضة · واستمرت حركة البابية وبهاء الله من ألمع زعمائها كفرقة سرية تعمل فى الخفاء بعيدا عن عيون الدولة الى أن وقعت محاولة اغتيال شاه ايران نصير الدين فى أغسطس من عام ١٨٥٢ واتهمت فيها جماعة من البابية فقبض على معظم أتباع هذا المذهب ومن بينهم الاخوان يحيى وحسين على نورى · ونجح أحد اقاربهما وكان وزيرا فى الابقاء على حياتهما واكتفت الحكومة بابعادهما الى بغداد فى محرم ١٢٦٩ · وفى بغداد أعلن بهاء الله فى ابريل من عام ١٨٦٣ وسط جماعة صغيرة من البابية أنه هو المهدى الذى بشر به الباب · وسرعان ما أصبحت بغداد مركزا لنشاط الحركة البابية ذلك النشاط الذى امتد الى ايران مرة ثانية ، عندئذ طلبت الحكومة الفارسية من سلطان تركيا الذى تتبعه العراق ابعاد هذين الأخوين واتباعهما عن حدودها · واستجاب السلطان وأبعدهما بالفعل الى اسطنبول حيث مكثوا عدة شهور ثم رحلوا الى أدرنة عام ١٨٦٤ التى يطلق عليها اتباع بهاء الله اسم « بلاد الاسرار » · وما كاد الاخوان يستقران فى تلك المدينة حتى احتدم الصراع بينهما على خلافة الباب ، كل منهما يريد الاستئثار بها لنفسه فيهاجم الآخر ، ويكيل له التهم مما أدى الى انقسام البابية الى قسمين قسم يتبع بهاء الله وهو الأكثر عددا وآخر يتبع صبح أزل الذى كان الباب نفسه قد أوصى له بالخلافة البابية ·

ويكاد يكون الاجماع تاما على ان الباب استخلف الميرزا يحيى قبل قتله بمدة بل أن يكون اخوه حسين أو البهاء وكيـــلا له من واجبه حمـاية الخليفة • وكانت حمـاية الخليفـة تتمثل فى حجبه واخفـائه عن أعين الأعداء تمسكا بتقليد شيعى قـديم هو تقليد التقية • ولقد اتقن البهـاء هذا الدور حينا فكان يخاطب النـاس نيابة عن اخيه • واستمر الحال على هذا الوضع حتى وقت اقامة الأخوين فى ادرنة حيث أدرك صبح ازل أن البهاء خطط لسرقة الخلافة • وحدثت المواجهة بينهما وظهر الصراع جليا بينهما • وعندئذ لقب الميرزا حسين نفسه بـ « اشـان » أى هم وهو لقب يتخذه مشـايخ وزعماء الطائفة التركمانية فى تركسـتان • ثم تلقب بالذكر وهو ذات اللقب الذى اتخذه من قبل الباب ، ثم بالطلعة المباركة ثم بالجمـال المبـــارك ، ثم بجمال القدم والحـــق ، وأخيرا ببهاء الله • وهذا التعبير مأخوذ من دعاء يتلوه الشـــيعة فى أوقات السـحر من شـــهر رمضـــان حيث يقولون « اللهم انى اسألك من بهائك بأبهاه وكل بهائك بهى ، اللهم انى اسألك ببهائك كله » • وهكذا انقسمت البابية الى بهائية وازلية وبلغ الصراع بين الشقين حدا أن كل من الأخوين كان يدس السم للآخر فى الطعـام وكل منهما كان يتهم الآخر بالكذب والدجل • ونعت صبح أزل أخاه فى الألواح بالعجل ، بينما نعت بهاء الله اخـــاه فى الأقدس بالكافر والمشرك •

وانتهى أمر هذا الصراع بأن ضاقت الحـــكومة التركيـة بزعيمى البابية وبأتباعهما بالرغم من كونها قد احسنت ضيافتهم لسنين طوال فأبعدت صبح أزل الى قبرص وبهاء الله الى عكا هو وسبعين من اتباعه ، وصلوها فى أغسطس عـــام ١٨٦٨ وأصبحت تلك المدينة مقـرا للبهائيه ومكانا مقدسا لهم • وفى عكا بذل بهاء الله كافة الجهود لنشر دعـوته ولاكتســاب الانصـار ، وفيها أعلن على الملأ دعـوته وحقيقة شخصيته ، وانكر كل ما كان يدعيه البـاب • وزعم أنه شـــجرة المعـارف الالهية والموجود الذى يجســـد الجوهر الالهى وأنه روح الله ، وهو الذى بعث بالانبياء بالرســل ، وهو الذى أوحى بالاديان • وزعم ان الباب لم يكن الا نبيا كل دوره هو التبشير بظهوره هو ، أو بعبارته كان الباب هو القائم بينما هو القيوم الذى سيظل وسيبقى ، فهو الذى قال عنه البـاب

« ســـيظهر فى يوم من الايام من هو أعظم منى » · وتلقب بهـاء الله « بمظهر الله » أو بمنظر الله » أى ان الله تجلى فيه · قال عن نفسه فى الاقدس معبرا عن هذه التصورات « يا ملأ الانسان اسمعوا نداء مالك السـمـاء انه يناديكم من شـطر سجنه الأعظم ، انه لا اله الا أنا المقتـدر المتكبر » ·

ولم يعد مذهب بهاء الله بعد هذه التعديلات الجوهرية التى أدخلها صاحبة على المذهب البابى امتدادا لهذا الأخير ، بل أصبح عقيدة جديدة تماما مختلفة عن كل ما سبقها من عقائد · ودعى بهاء الله البشرية جمعاء الى اعتناق هذا « الدين » الجديد كما كان يسميه ذلك الدين الذى سيسود فى رأيه جميع الأمم مما دعى ابنه عبـاس الى اعتباره على حد قـوله « موعود بجميع الأمم والاقوام » · واذا كان الشيعة الامامية قد تمسكوا بأهداب لاســلام فلم يعطوا للامام سلطة الاتيان بشرع جديد فأن البابيه وتلتها البهائية لم تقيما وزنا لحدود الاســلام فذهبتا باراء الشيعة الى نهايتها القصـوى ، فلم يعد البـاب أو بهـاء الله نائبين عن الامـام المستور أو حتى لم يعدا هذا الامام المنتظر ذاته بل ادعا كل منهما أنه صاحب دين جديد فخرجا بذلك عن الاسلام تماما ·

توفى بهـاء الله بعد هذه الحيـاه الحافلة المضطربة فى عكا فى ٢ من ذى القعدة ١٣٠٩ هـ الموافق ٢٨ مايو عام ١٨٩٢ ودفن فيها ·

٢ ــ العقيـدة البهـائية :

ربما يجدر بنا قبل الحديث عن هذه العقيدة تقديم لمحة عن مؤلفات بهـاء الله · ولأن بهـاء الله ذهب الى أن رسـالته نسخت رسالة الباب فقد صاغ بدوره كتبه المقدسة وأهمها « الأقدس » الذى يحوى كل مفاهيم مذهبه وكل تشريعاته · والأقدس مكتوب باللغة العربية وأسـلوبه أفضل وأوضح نسبيا من أسـلوب الباب وان ظل يعـوزه المزيد من الدقة فى تحديد الافكار · وهو الاقدس بمعنى أنه أقدس من التوراة والانجيـل اللذين يطلق عليهما الكتاب المقدس ، كما انه أقدس من القرآن أيضا · ولبهاء الله أيضا كتاب « أيقان » الذى يعالج فيه دور الانبياء ومفـاهيم

البعث والحساب التى لا تختلف كثيرا عن مفاهيم الباب · وله كذلك « كلمات مكنونة » الذى ترجم الى الفرنسية وهو يتكون من مجموعة من الرسائل · وله كذلك « الهيكل » وهو باللغتين العربية والفارسية ، و « اشراقات والالواح » · وله « الاساس الأعظم » وهو أساس تشريعية ، وقصيدة أسماها « ورقائية » · والجدير بالذكر أن كل كتب بهاء الله ترجمت الى الانجليزية وبعضها ترجم الى الفرنسية الا الأقدس الذى لم يترجم الى لغة أخرى حتى الآن · والجدير بالذكر ايضا أن الباحث فى البهائية يجد مشقة هائلة فى الحصول على كتب هذا المذهب ويبدو أن سبب ذلك يرجع الى حرص أصحابه وتمسكهم بالسرية المطلقة خوفا من بطش من يحيط بهم ولا يؤمن بمذهبهم ·

نعود للعقيدة البهائية فنقول ان بهاء الله عنى عناية خاصة بنسخ البابية وبيانها حتى تخلو له الساحة فيفرض عقيدته هو . وجعل قيمة البابية الوحيدة هى التبشير ببهاء الله · يقول « اياكم أن يمنعكم ما فى البيان عن ربكم الرحمن ، تالله انه قد نزل لذكرى لو انتم تعرفون ، لا يجد منه المخلصون الا عرف حبى واسمى ··· كل يا قوم توجهوا الى ما نزل قلمى الا على ·· » هذا ما جاء فى الأقدس مؤلها البهاء بطريقة ساذجة ·

أما عن الله فقد ذهب الى أنه لا يمكن أن يوصف اذ لا توجد صفات يمكن أن تصفه ، ولا أدلة على وجوده أو غيابه ، ولذا اختار الله أن يعلن عن نفسه من خلال رسله أمثال ابراهيم وموسى وزرادشت وبوذا وعيسى ومحمد والباب · وما هؤلاء الرسل ـ فيما زعم ـ الا تجليات لله وتعبير عن ارادته ولذا فهم يكونون سويا وحدة · وترتب على زعمه هذا اعتقاده بأن جوهر كافة الأديان واحد ، وان تميز كل منها بخصائص معينة تتناسب مع احتياجات العصر ومع المكان ومع درجة الحضارة التى يظهر فيها الرسول · معنى هذا أنه اعتقد أن الوحى يتطور بتطور الانسانية · ولم يعتبر بهاء الله نفسه آخر تجليات الله أو آخر « ظهور » له ، بل ادعى أن ثمة تجليات أخرى ستعقبه فى المستقبل · ويحاول البهائية تبرير عقيدتهم هذه عن التجليات الالهية المستقبلية بقولهم ان الجزم بانقطاع الوحى الالهى ويغلق أبواب الرحمة

الالهية من الاقوال التى لا تجد لها سندا فى الواقع اذ أن الانســانية قد بلغت فى تطورها حالا أصبحت فيه فى أشـــد الحاجة الى الوحى والرحمة الالهيين ، أكثر مما كانت تحتاج اليهما فى أى عصر ســالف • لم تشأ رحمة الله ترك العالم بلا فيض الهى ولذا تجلى الله فى بهــاء الله • وفكرة ضرورة تجلى الله للانســـانية رحمــة بها هى تطوير أو تحريف لفكرة الشيعة عن اللطف الالهى الذى يحتم وجود الامام اذ أن الله أكرم بعبــاده من أن يدعهم بدون امام • وبتأكيد بهــاء الله لكونه يمثل تجليا للالوهية لا للشيعة فحسب ولا للمسلمين فحسب بل هو كذلك للانســـانية جمعاء ، يكون قد قضى على البقية الباقية من تصــورات الشيعة الامامية عن الامامة وعن المهـــدية ، تلك التصورات التى كان الباب قد ســـبق له تشويهها فجاء بهــاء اللــه وقطع كل صلة تربطها بالاســلام الشــيعى •

وكان الباب قد أعلن أنه ســيعود مرة أخرى فى صـــورة جسدية مختلفة وأطلق على هذا البعث اســـم البعث الثانى كما سبق أن بيننا ، وأن أحدا يجب ألا يسأله عندئذ عن أفعاله ، أخذ بهاء الله هذه الفكرة وقال انه لا يخطىء أبدا وأن من عدله أن يعتبر ما هو عدل ظلما ، وما هو خير شرا ، وأن يعتبر الايمان كفرا • وبعبارة أخرى ذهب بهاء الله الى من حقه أن يقول عكس ما هو معروف وأن يخالف العقائد الســـابقة ، وما على كافة البشر الا الايمان بما يقول • وما هذا القول فى رأينا الا تحريف لعقيدة البداء دخل عليها فأفقدها معالمها الجوهرية بحيث أصبح من العسير علينا التعرف على أصلها الشيعى • وفى الأقدس وهو كتابه المقدس كما سبق لنا القول يعلن بهاء الله تارة أنه رسول من عنـــد الله وصاحب دعوة دينية ، ويذهب تارة أخرى الى أنه الله ذاته ، ويدعى فى تارة ثالثة أن الله حل فى شخصه فيشبه عندئذ الحلاج بنظريته فى الحلول• وان دل هذا على شىء فانما يدل على عجز بهاء الدين عن وضع حدود فاصلة بين الجانب البشرى الزمانى فى شخصه والجانب الالهى الخــالد الذى يدعيه ، كما يدل على تخبط فكرى واضح مصدره ذلك الطموح الشديد الذى دفع بصاحبه الى اعتبار نفسه الاها بعد أن كان يعتبر نفسه رسولا أو مهديا منتظرا • ومن أقواله فى الأقــدس والتى تعبر عن قــوله بالحلول

« وقـل لا يرى فى هيـكلى الا هيـل الله ، ولا فى جمـادى الا جمـاده ، ولا فى كينونتى الا كينونته ، ولا فى ذاتى الا ذاته » • ويقول مؤلها نفسه معتبرا نفسه الله الباطن والظاهر فى آن واحد : « ويطلق عليه الظاهر لأنه يرى اسمائه وصفاته ويعرف بانه « لا اله الا هـو » ويطلق عليه اسـم الباطن لأنه لا يوصف بوصف ولا يعرف بما ذكر •• وأنه لا يعرف بالأفكار ولا يدرك بالأبصار على ما هو عليـه من علو علوه وسـمو سـموه أنه لبالمنظر الأعلى والافق الأبهى » •

وذهب بهاء الله الى ان لا محمدا ولا غيره من الأنبياء ولا الأئمـة استطاعوا أن يدركوا المعنى الحقيقى للنصوص المقدسة التى أولى بها الله وحتى لو كانوا قد فعلوا فان الله قد حرم عليهم افشاء معنى هذه النصوص للنـاس اذ أن هؤلاء لم يبلغوا بعد درجة النضج العقلى التى تتيح لهم أدراك هذا المعنى ، كان على الانسانية أن تنتظر حتى تصل الى درجـة معينة من الكمال العقلى تستطيع معه أن تدرك هـذا المعنى الخفى الذى أراده الله ، وذلك بواسطة تجلى الله فى تجسيد انسانى يكشف النقاب عن كل إسرار الكتب المنزلة • وكان بهاء الله هو بالطبع هذا التجسيد الذى سيحقق تلك المعجزة التى انتظرتها الانسانية طويلا • ويزعم بهاء الله أن هذا المعنى هو المشار اليـه فى القـرآن فى الآية ٢١٠ من سورة البقـرة « هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظل من الغمام والملائكة وقضى الأمر والى الله ترجع الأمـور » • وهـو يتأولها بأن الله سيأتى الى النـاس متجسدا فى جسم انسانى وهذا ما تحقق بالفعل بمجىء بهاء الله ومعه أتباعه الذين يرمز اليهم القرآن بالملائكة • وادعى ان نفس المعنى نجده فى الآية السابقة من سورة آل عمـران : « هو الذى أنزل عليك الكتاب من آيات محكمات من أم الكتاب وآخـر متشبهات تاما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشـابه منه أبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكـر الا أولوا الألبـاب » •

واضح أن بهـاء الله استخدم مناهج التأويل التى كانت تستخدمها الفرق الباطنية من غلاة الشيعة • الا أن استخدامه للتأويل تجاوز كل

الحدود التى كان يلتزم بها السابقون عليه من غلاة الشيعة ولذا قال بأراء لم يجرؤ أحد قبله على الافصاح عنها · ومن هذه الآراء أن الحقـائق الالهية فى الأديان السماوية واحدة لأن هذه الاديان فى حقيقة أمرها دين واحد · وهو وحده الذى يستطيع كشف النقاب عن هذه الحقـائق التى ظلت مستترة حتى جاء هو · فهو وحده المهدى الموعود أو هو وحـده « ظهـور الله » · وقبله كانت الحقائق الالهية فى كافة النصوص المقدسة مكتومة عن الانبياء · ويستشهد على صحة رأيه هذا بالقـرآن الذى جاء
٣ فيه أن القوم كذبوا القرآن لأنهم لم يدركوا معانيه اذ جـاء فى سـورة يونس « بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تأويله » · كما جاء فى
٢ القرآن وعد صريح بنزول بيـان للقرآن وذلك فى الآية « يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق » · واعتبر بهاء الله نفسه هو المشـار اليه فى هذه الآية بأنه حامل التأويل وهو الذى سيحل كل مشاكل العقيدة ! وأكد بها الله ليضمن لنفسه حق الكلمة الأخيرة بأن اللا حق من الرسل هو الذى يفسر السابق فحقائق التوراة لم تتضح الا بظهور عيسى ، وحقائق الانجيل ما ظهرت الا بظهور محمد ، ولم تظهـر حقائق كل من اليهودية والمسيحية والاسـلام معا الا بظهـوره هـو بهـاء الله ·

والخلـق فيما ذهب بهاء اللـه من شأن الله ، وبذلك يكون خالف البابية التى سبق لنا توضيح مذهبها فى هذا المقـام · والخلق عنده قديم أى أنه لم توجد لحظة لم يوجد فيها العالم · والله خلق ضمن ما خلق الانسـان ولذا فغاية الحياة الانسانية فى نظر البهائية هى معرفة الله وعبادته ولقد منح الله أكمل البشر نفوسا خالدة تتناسخ فتبعث مرات متتالية فى أبدان مختلفة · وكما فعل الباب من قبل فعل بهاء اللـه من بعده ، أى أنه تأول المفاهيم المختلفة تأويلا جديدا فتأول البعث والحشر والملائكة والحساب · فالبعث هو ظهوره هو وقيامه بالدعـوة · والجنة
٤ والنـار هى رموز لعلاقة الله بالنفس · والملائكة ليس المقصود بها المعنى الحرفىللكلمة والا لساعدت الرسل كما جاء فى الكتب المقدسة ونجحت
٦ فى حمل الناس على تصديقهم وهو غير ما يقـوله لنا التاريخ · انما الملائكة فى حقيقة الأمر رجال تخلصوا من كل ما هو انسـانى دنس فى

طبيعتهم بفضل حبهم لله فحب الله قادر على تحقيق ذلك · ويستشهد على صحة رأيه بالامام جعفر الصادق سادس ائمة الشيعة الذى ذهب فيما ادعى الى نفس ما يذهب هو اليه ·

ومن العقائد التى اخذتها البهائية من الشيعة عقيدة التقية · وكان بهاء الله يساير كل انسان حسب عقيدته فاذا ما واجه اليهود ادعى ان موسى هو أفضل الأنبياء وأنه بعث من جديد فى شخصه ؛ أما اذا واجه مسيحيين فكان يقول ان بهاء الله هو المسيح الذى ينتظره الناس ؛ أما اذا وجد بين المسلمين فكان يدعى انه هو المهدى المنتظر · وفى الأوساط الفكرية كان يدعى أنه يريد جمع كلمة البشر دون التفرقة بين اجناس أو أديان ليحقق للجميع السعادة القصوى · واذا عرفنا أن البهائية يلتزمون بهذا المبدأ فى الفعل والقول لادركنا صعوبة الوقوف على حقيقة مذهبهم ·

ولأن البهائية زعمت انها دين جديد فقد وضعت فروضا دينية جديدة تختلف عن مثيلاتها فى كل الأديان السابقة · جعل بهاء الله الصلاة تسع ركعات على أن يولى المصلون وجوههم شطر مقامه فى عكا ، وأبطل صلاة الجماعة الا على الميت · وجعل عدد شهور العام تسعة عشر شهرا مثل البابية ، وجعل شهر الصوم هو ذلك الذى ينتهى بعيد النيروز ، وجعل الحج الى مقامه فى عكا ، وغير أحكام الميراث ، وبدل أحكام العقوبات والسرقة والزنا وعالج موضوع العلاقات الزوجية ، فجعل الحد الأقصى التزوج باثنتين ، وان جعل المثل الأعلى هو الزواج بواحدة فحسب ، وهو فى هذا يسير على سنة الباب · وأباح بهاء الله للبهائية كل ما حرمته الأديان السابقة ، فللانسان فى رأيه الحق فى فعل أى شىء على ألا يتعارض هذا مع العقل الانسانى السليم كما جاء فى الكتاب الأقدس ، ولكنه حرص على تحريم الخمر والمخدرات ، وكل ما يجعل الانسان يغيب عن وعيه ·

ومن أهم مبادىء البهائية مبدأ وحدة الاديان فالاديان عندها ليست الثلاثة المنزلة فحسب بل هى تسعة ، فهى تؤمن فضلا عن اليهودية والمسيحية والاسلام ، والصابئة والبرهماتية والبونية والزرادشتية والبابية والبهائية بالطبع · وان دل هذا على شىء فانما يدل على أن البهائية

لا تحفل بمسالة الوحى والا كانت فصلت بين الاديان الثلاثة المنزلة وآخرها الاسلام وبين تلك الديانات الأخرى · وليعلى من شأن « دينــه » أكد بهاء الله انه الوحيد الذى أدرك المعنى الحقيقى للنصوص المقدسة · وفى رأينا انه لم يقل بوحدة الاديان هذه الا ليجعل نفسه على رأس هذه الوحدة ، ولينصب نفسه مفسرها الوحيد فاذا ما أقتنع الناس بذلك كان منطقيا أن يتركوا دينهم ليعتنقــوا الدين الكلى الشـــامل الذى يوحــد بين كافة الأديان ·

٣ ــ فلســفة البهــائية الاجتمـــاعية :

لم يكن بهاء الله يعتبر عقيدته تجديدا للاسلام او ثورة على بعض مفاهيمه ، بل كان طموحه اكبر بكثير (!) اذ زعم انه جاء لينشر الدين الجديد دين الاخاء بين الناس كافة · فدينه هو الدين العالمى الذى سيجعل هذا العالم وطنا للجميع · والذين يتأولون هذا المذهب تأويلا فلســفيا يحلو لهم أن يروا فيه مجموعة من الأسس الضرورية لحياة اجتمـاعية ســليمة · وهم يدعون أن بهاء الله أدرك أن الدين الحديث يجب الا يعنى فحسب بالحياة الروحية للمؤمن بل من واجبــه أن يهتم كذلك بحيـــاته العملية · وفات هؤلاء أن الاديان الســـماوية فى حقيقــة أمرها تعنى بالجانب الروحى فضلا عن عنايتها بالجانب العملى لحيــاة الانســان ولقد أدرك بهاء الله فيما يبدو وتأكد من ذلك أبنه عباس فيما بعد من أن اية محاولة من جانب البهائية لربط الدولة بالدين سيكون مصيرها تدميرهما من أصحاب السلطة الذين تهدد دائما مصالحهم مثل هذه الدعـوة ، ولذا اصر الأثنان على أن البهائية ليست حزبا سياســيا · بل وضع عبــاس كتابا هو « الســياسة » ارجع فيه مصائب كل من تركيا وفارس فى القرن التاسع عشر الى اقتحام رجال الدين عالم السياسة ·

ولأن بهاء الله كان يحلم بجعل دينه هو دين العالم كافة فقد حث اتباعه على دراسة اللغات الأجنبية حتى يمكنهم نشر الدعـوة بين كافة البشر ، بل ونادى بايجاد لغة عالمية موحدة من شأنها تحقيق الترابط بين البشر · وشــجع العلم والتعليم ولذا نسخ ما دعا اليه الباب فى بيــانه من تجاهل العلم والتعليم ومن احــراق كل من الكتب المقدســـة والكتب

العلمية . قال بهاء الله فى الاقدس « قد عفا الله عنكم فى البيان من محو الكتب واذنا لكم بأن تقرءوا من العلوم ما لا ينتهى الى المجادلة فى الكلام ، فهذا خير لكم ان انتم من العـــارفين » .

وحاول بهاء الله أن يجعل للمصلحة العامة المقام الأول فحرم الحرب تحريما تاما ودعى الى الحد من استعمال الاسلحة الا وقت الحـــاجة ، كما طالب بوجود محكمة دولية تمثل امامها كل الدول لتحسم خـــلافاتها . وتمسك بالمساواة بين البشر ، واستنكر التفـــرقة العنصرية ، ودعا الى القضاء على الطبقات وعلى الامتيازات الدينية ، وادعى انه قد نزلت عليه سورة تســـمى ســـورة الملوك انب فيها سلطان تركيا لأنه فرق بين طبقات شعبه من حيث الحقوق والواجبات فجعل لبعضها امتيازات دون البعض الآخر . وأكد المساواة المطلقة بين البشر فى « نسائم الرحمن » عندما قال « يا ابناء الانسان هل عرفتم لم خلقناكم من تراب واحد ، لئلا يفتخر احد على احد وتفكروا فى كل حين فى خلق أنفسكم اذ ينبغى كما خلقناكم من شيء واحد أن تكونوا كنفس واحدة بحيث تمشون على رجل واحدة وتأكلون من فم واحد وتسكنون فى أرض واحدة حتى تظهر من كينونتكم واعمالكم وافعالكم ايات التوحيد وجواهر التجريد » .

الا ان موقف بهاء الله من الحرية جـــاء عجيبا . وفى اعتقادنا انه ما ذهب الى ما ذهب اليه الا ليضمن الطاعة العمياء لعقيدته . لقد هاجم الحرية بحجة انها غاية الجهلاء ، فالانسان يحتاج لرادع ، اما الاستمتاع بالحرية فأمر جدير بالحيوان وحده ! ولا ندرى ما راى المتحمسين للبهائية فى هذا الرأى ؟ ! يقول بهـــاء الله « انا نرى بعض الناس أرادوا الحرية ويفتخرون بها ، اولئك ، فى جهل مبين . ان الحـــرية تنتهى عواقبها الى الفتنة التى لا تخمد نارها ... فاعلموا أن مطالع الحـــرية ومظاهرها هى الحيوان ، والانسان ينبغى أن يكون تحت سنن تحفظه عن جهل نفسه .. ان الحرية تخرج الانسان عن شـــئون الآداب والوقار ... قل الحـــرية فى اتباع أوامرى لو انتم من العارفين » وهكذا وجه بهاء اللـــــه ضربة قاضية لحلم الانسانية وهدفها الأعظم ، اى للحرية التى اقـــرت بهـــا كل الاديان والمذاهب الفلسفية على اختلافها .

واذا كان هذا هو موقف البهائية الصريح من الحرية الاجتماعية ـ ومن عناصرها الحرية الفكرية ـ فقد جاء موقفها من هذه الأخيرة متناقضا تماما مع نفسها ! فتمسكت بحرية العقيدة والايمان والفكر ٠ وذهبت الى أن هذه الحرية أصبحت من حقوق الانسان فى كل مكان وتقرها جميع الدساتير فكيف يحاربها البعض بعد ذلك باسم الدين ؟ ان من يفعل ذلك يخالف قانونا هاما من قوانين الحكومة ٠٠ أى حكومة ٠ وفى رأينا انه اذا كانت حرية العقيدة والفكر من اهم حقوق الانسان الا أن ثمة اجماعا على ان من الأفكار ما هو أشبه بالهلوسة التى تضر بالمجتمع ، ولذا لابد من محاربتها ٠ ولا تكون محاربتها فى رأينا بالاجراءات التعسفية أو الأحكام القضائية لأن التقية عندئذ ستكون هى الملاذ انما محاربتها يكون بالقضاء على أسباب ظهورها والاقبال عليها ٠

وثمة مبدأ آخر يفيد دعوتهم ولذا تمسك به البهائية تمسكا شديدا ونعنى به الاستقلال فى تحرى الحقيقة ٠ ولا يمكن لانسان أن ينكر قيمة هذا المبدأ ولكن علينا فحص اسلوب تطبيقه ، فليس كل السلف تالف يجب تركه ، خاصة اذا كان هذا التراث السلفى يستند الى نصوص مقدسة واضحة ٠ عنت البهائية بالاستقلال فى تحرى الحقيقة الاقلاع عن اقتفاء اثر الاسلاف وعن التقليد الأعمى ٠

وتؤكد البهائية ان دور الدين هو تحقيق الترابط والالفة بين البشر ، اما اذا اصبح هذا الدين سببا للعداء وللبغضاء بين هؤلاء لكان عدمه افضل من وجوده ، ولذا وجب هجره فى سبيل وحدة الانسانية ٠ وفى رأينا ان بهاء الله كان يتعامل مع الأديان وكأنها امر انسانى يمكن الأخذ به او هجره ، غافلا تماما أنها تستند الى وحى سماوى مما يستحيل معه التعامل معها مثل تعاملنا مع المذاهب الانسانية ٠ وصحيح أن الدين قد يصبح اداة لاشعال الفتن والحروب كما شهد بذلك الماضى وكما يشهد بذلك الحاضر ، الا أن هذا لا يعنى التخلى عن الدين ولفظه لانقاذ الانسانية ، انما يعنى بذل مزيد من الجهد لتصحيح فهم الدين ٠ فالدين برىء من تفسيراته وتطبيقاته الخاطئة ، وبرىء من استغلالاته ٠

ورفض بهاء الله فكرة أن يكون هناك اناس لا عمل لهم الا تعاليم الدين

أو الاشراف على تطبيق شريعته ، أى رفض وجود رجال دين · وذهب الى أن كل فرد فى الجماعة البهائية لابد وان يكون له عمل منتج · وترتب على هذا الرفض لوظيفة رجل الدين أن رأى انه ليس هناك ما يحتم وجود دور مخصصة للعبادة فحسب ، واذا جعل الصلاة فى أى مكان وفى أى زمان يناسبان المصلى على أن تكون الصلاة يومية ·

وفرض بهاء الله ــ فى محاولته لتنظيم جماعة البهائية اجتماعيا بشكل عام واقتصاديا بشكل خاص ــ نوعا من الضرائب على اتباعه بنسبة تسعة عشر فى المائة (وهو الرقم المقدس عنده) من رأس المال ، وليس من الدخل السنوى ، تسدد مرة واحدة فقط ولا يتكرر سدادها كما هو الحال فى النظم الحديثة · ومجموع هذه الضرائب يمثل دخل الجماعة الذى ينفق منه على احتياجاتها المختلفة ·

وكان بهاءالله شديد الطموح فبعث من عكا برسائلة الى شاه ايران والى رؤساء الدول الاوروبية والامريكية بل والى بابا روما · ولم يتلق جوابا على هذه الرسائل · ولعل مما يحتاج لدراسة وتفسير هو موقف اليهود من البهائية · شجع اليهود البهائية تشجيعا كبيرا بل واعتنقها بعضهم ــ على ما عرف عنهم من امتناع عن ترك دينهم ــ وحاولوا استخراج ما يؤدى دعاواها من العهد القديم ، ولذا ذهبوا الى أن الآيتين السابعة والثامنة من الاصحاح التاسع من سفر اشعياء وهما « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمة عجيبا مشيرا الها قديرا ابا ابديا رئيس السلام ، لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داوود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن الى الأبد » انما تشيران اليه ·

٤ ــ عباس بن بهاء الله :

عين بهاء الله ابنه عباس أو عبد البهاء الذى ولد عام ١٢٦٥هـ ــ ١٨٤٤م خليفة له للبهائية · وتولى عباس الذى تلقب بعبد البهاء رئاسة البهائية وله من العمر أربعة وأربعين عاما وكان أبوه قد اطلق عليه «الغصن الأعظم » ! اختصارا لغصن الله الأعظم » · ومنذ توليه الرئاسة عمل على التخلص من منافسه اخيه ميرزا محمد على الذى كان أبوه قد اطلق عليه

لقب « الغصن الاكبر » وكان التاريخ يعيد نفسه باستمرار بالنسبة لهـذا المذهب ، فكما احتدم الصراع بين بهاء الله واخيه صبح ازل وكتب النصر لبهـاء الله ، نشب الصراع على الزعامة مرة اخـــرى بين ابنى مؤسس البهائية • ومرة أخرى انقسمت البهائية فمنها من اتبع عباس وهم العباسية ويمثلون الأكثرية ، ومنهم وهم الأقلية من انضم لميرزا محمد على وأصبح يطلق عليه اسم الموحدين • وامتاز عباس بثقافة رفيعة تفوق ثقـافة أبيه حتى ان بعض الباحثين يعتقد انه هو المؤلف الحقيقى لكتب أبيه • وبفضل هذه الثقافة الواسعة وبفضل ذكائه الشـديد ومهارته فى الاتصال بجميع المستويات استطاع ان يكتسب العديد من الانصار كما استطاع أن يفسر المذهب البهائى بطريقة عصرية مقبولة جعلت الـكثيرين يعتبرونه صاحب البهائية الفعلى • وعلى عـكس ما فعـله ابوه مع البـاب عندما أبطل كل ادعاءاته ليدعى لنفسه الالوهية ، احترم عبـاس ادعاءات وآمال أبيـه • وكان واقعيا متواضعا مدركا للتغير الذى طرأ على العقول والنفوس فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، ذلك التغيير الذى يصعب معه ادعاء الالوهية ، ولذا اعتبر عباس نفسه خادما لأبيه وممثلا له فحسب ولم يطالب اتباعه بعبادته • ونسخ عباس بعض العقائد الفرعية التى كان قد قال بها بهاء الله منها على سبيل المثال الاقرار بصلاة الجماعة ، وتحريم تعدد الزوجات واباحة الخمر والمكيفات فى حالة المرض وهى امـور كان بهاء الله يقول بعكسها •

وكان عباس ملما بالأديان وبالفلسفة الاسلامية القديمة وبعلم الفلك وبالطبيعيات ، ومع ذلك سمح لأتباعه بتأويل آيات القرآن وشجعهم على ذلك ، على ان يفعلوا ذلك بما يدعم مركزه الدينى ؛ مما يدل على أن الأمر بالنسبة له لم يـكن ايمانا بهذه الهرطقـات التى تـكون البهائية بل كان طموحا لا يعرف حدودا للسـيطرة وللزعامة باسم الدين • وكان اتباعه يتأولون الآيات « اذا قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائـكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين » وهى الآيات ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ سورة ص ، بأن الله فيها انما هو بهاء الله وما الملائكة المشار اليهم فيها الا اتباع بهاء الله • والنقاش الذى دار بين الله والملائكة هو النقاش الذى

دار بين بهاء الله واتباعه عند اختياره لابنه الاكبر عباس خليفة له · اما ابليس فى هذه الآيات فيرمز لاولئك الذين رفضوا قبول هـذا الاختيار وانحازوا لأخيه ولمنافسه الذى أصبح هو واتباعه من الكافرين !

ونجح عباس افندى فى تطوير البهائية بحيث اصبحت اكثر تمسكا بفكره وحدة الاديان وحب السلام والنزعة للعالمية وللمساواة بين البشر كافة ، اى اصبحت دينا انسانيا عالميا · ومن اقواله المعبرة عن تلك الروح « ان الانسانية واحدة ·· والارتباط المعقد بدين او بجنس او بدولة يحطم هذه الوحدة ، فلابد اذن من التحرر من المعتقدات التقليدية » · ومن اقواله كذلك « ان الانسانية تحتاج اليوم الى الوحدة الشاملة والوفاق قبـل اى شىء آخر · لقد سيطر السيف على العالم لاكثر من ستة الاف سنة فلنبحث عن وسيلة اخرى نستبدلها به ! ان الكلمة لا تريق الدماء ولكنها تؤثر على القلوب وتمنح الحيـاة · وبينما للسيف المعـدنى تاثير وقتى ومحدود فان لسيف الكلمة اى لحب الله تاثيرا لانهـائيا · فليشهر هـذا السـلاح » · ومن الجلى ان الرجل كان بليغا يحسن التاثير على القلوب ·

وقد التزم عباس بتأدية الشعائر الاسلامية علنا ربما لوجـوده فى بيئة اسلامية ، اما اذا وجـد بين مسيحيين فـكان يعـرف كيف يعلى من شانه رسالة المسيح ، واذا وجـد بين يهود ادعى ان لموسى اهمية عظمى للجنس البشرى · واحيـانا كان يعلن تمسكه بفكره وحـدة الاديان تلك الفكرة العزيزة على ابيه · يقول فى خطبه له فى كنيسة سان جورج فى وسمنستر بانجلترا نشرت جريدة وادى النيل المصرية ترجمتها العربية فى السبت الموافق ٢٣ ديسمبر سـنة ١٩١١ ، وهو ما يدل على ان الصحافة المصرية كانت تهتم اهتماما ملحوظا بعباس هذا · يقول : « فغاية ما يكون الحادث يستفيض الفيض التام من حضرة القديم فلننظر الى اثار رحمـة الله فى المظهر الموسـوى ، والى الانوار التى سطعت من الافق العسوى ، والى السراج الوهاج اللامع فى الزجاج المحمدى علية الصلاة والسلام ، وعلى الذين بهم اشرقت الانوار وظهرت الأسرار وشـاعت وذاعت الاثار على ممر الأعصار والادهار » · وواضح هنـا ان الاديان ليست الاديان

الثلاثة السماوية فحسب انما هى تلك المجموعة التى آمن بها أبو ٠كان عباس يعرف ما يقال ولمن يقال وقد ورث تقليد التقية هذا عن أبيه بالطبع ٠

ولم يرسل عباس كما فعل ابوه من قبل رسلا أو رسائل الى البلاد المختلفة بل ذهب بنفسه الى انحاء العالم الغربى بالذات شارحا دعوته ٠ ولقد القى عدة محاضرات فى جامعة اكسفورد فى انجلترا ، وذهب الى باريس ، والى سويسرا ، وكذلك حاول لفت الأنظار الى دعوته فى امريكا الشمالية حيث صادف بعض النجاح ٠ وقد جاء عباس بن بهاء الله الى مصر فى عام ١٩١٠ وهو فى السبعين من عمره دون أن يفصح عن حقيقة الهدف من زيارته بل اكتفى بجس النبض ٠ ونجح فى تكوين علاقات مع بعض المفكرين ومنهم الشيخ على يوسف الذى خدع فيه وفى دعوته فاثنى عليهما دون ان يفطن لحقيقة الرجل ولا لحقيقة دعوته الهادمة لأى دين سماوى ٠ ولقد استطاع الشيخ رشيد رضا ان يتبين حقيقة المذهب البهائى فكتب فى المنار مقالتين القى فيهما الضوء على هذه البدعة فترك عباس البلاد على اثرهما مدركا انه قد فشل فيها ، فحيث يوجد العلماء الذين يعرفون كيف يؤدون رسالتهم لا تستطيع البدع ان تستقر ٠

توفى عباس فى عكا فى ٢٧ نوفمبر عام ١٩٢١ ودفن مع الباب ومع ابيه بهاء الله ٠ ولم يكن من ابنائه من هو جدير بخلافته ولذا عين حفيده شوقى ربانى وهو ابن ابنته فى هذا المنصب ٠ وقد درس شوقى هذا فى اكسفورد بعد أن درس فى جامعة بيروت ، وهو مثقف ثقافة رفيعة ومع هذا تدهورت احوال المذهب البهائى فى عهده ٠ وربما تكون ثقافته هذه هى السبب فى ذلك ، فالعقل اذا ما اقترب من الحقيقة يصعب عليه أن يخدع الآخرين بغيرها ٠ ولقد توفى شوقى هذا عام ١٩٥٧ ٠

وقبل ان ننهى الحديث عن عباس وخليفته لنا ان نعرض لمؤلفات عباس ٠ لعباس مجموعة من الخطب والرسائل جمعت وطبعت فى القاهرة بعنوان « كتب وخطب عبد البهاء » ، اما الغرب فلا يعرف الا احاديثه مع السيدة لورا كليفورد بارنى التى ادلى لها بها فى عكا وسمح لها بنشرها ٠ « "Les leçons de Saint Jean d'Acre" » ٠ وفى هذه الاحاديث يتجلى حسه الفلسفى النقدى والطابع الحديث للغاية والممتزج بمسحة صوفية شرقية للفكرة ٠

٥ ـ البهائية فى العالم :

ربما تكون المسألة الملحة علينا ونحن فى هذا المقام هى مسألة علاقة البهائية بسائر الاديان وبالذات بالدين الاسلامى · ان البهائية تعلن باصرار انها شريعة قائمة بذاتها ودين جديد سماوى له احكام وحدود تشتمل على كل المبادىء الضرورية لحياة اجتماعية فاضلة ، وانها ليست بحال من الاحوال مذهبا اسلاميا · وبالرغم من هذا فهى تدعو الى الايمان بالله وبملائكته وبكتبه وباليوم الآخر وهى تعترف بكل الاديان وخاصة بالدين الاسلامى · وفى رأيها ان هذا يجعلها تختلف عن غيرها من الاديان الغير منزلة مثل المجوسية التى لا تعترف بالاديان الثلاثة ولا برسلها · واصرارها على كونها دين يختلف عن سائر الاديان ولا ينتمى الى أى منها امر تبرزه بقوة فى وجه كل من يهاجمها بدعوة انها خرجت على الدين الاسلامى مثلا · وليس بغريب ان يكون المسلمون هم الذين ينفردون بالتصدى لها فتفسير ذلك ان المسلمين يعتقدون ان البهائية فرقة « حرفت » الاسلام ولذا لابد من ضربها · ويؤكد البهائية انهم بالرغم من نشأة بهاء الله فى احضان البابية وهذه بدورها كانت قد نشأت فى احضان فرقة شيعية هى الشيخية ، ليسوا مسلمين · ولعل هذا ما ينبغى ان نلتفت اليه نحن المسلمين وندركه تماما · فيجب ان نتعامل مع البهائية كما نتعامل مع سائر اتباع الديانات الغير منزلة لا كما نتعامل مع الخارجين على الاسلام ·

اما موقف البهائية من اليهود فمسألة اخرى يجب التوقف عندها · فعباس كان متفاهما مع اليهود الى اقصى حد وكان يرى ان النجاح الذى بدأ اليهود يحققونه فى « عهده » دليل على عظمة بهاء الله وعلى عظمة دورته الالهية · يقول عباس فى كتاب المفاوضات فى تفسيره للاصحاح الحادى عشر من كتاب اشعيا « ان بنى اسرائيل يجتمعون فى دورته بالارض المقدسة وتجتمع أمة اليهود المتفرقة فى الشرق والغرب والشمال والجنوب ··· الاسرائليون فى جميع العالم لم يجتمعوا فى الدورة المسيحية بالارض المقدسة · اما فى بداية دورة « حضرة بهاء الله » فقد ابتدأ يتحقق هذا الوعد الالهى المنصوص عليه فى جميع كتب الانبياء · وانت تلاحظ وترى ان طوائف اليهود يأتون الى الارض المقدسة من اطراف

العـالم ، ويمتلكون القرى والاراضى ويسكنون ويزدادون يوما بعد يوم حتى تصبح جميع اراضى فلسطين سكنا لهؤلاء » ! . هكذا يرى عبـاس ان بشائر نجاح جهود اليهود فى الاستيلاء على فلسطين هى دليـل قاطع على الوهية بهاء الله . ولم يترك عباس فرصة ليبدى اعجابا عميقا بمـا صنعه اليهود على مر العصور الا وفعل . مع ان ما صنعوه وما صاغوه من فكر على مر العصور لا يخـرج فى رأينـا عن كونه تعبير عن عقـدة نقص شديدة وعن رغبة فى الانتقام من العـالم كله الذى لفظهم . ذهب عباس فى احدى خطبه التى القاها فى المجمع اليهودى فى سان فرنسيسكو فى ديسمبر ١٩١٢ الى ان اليهود ارتقوا بفضل دينهم الى « درجة اصبح معها فلاسفة اليونان يذهبون الى الارض المقدسة ليتعلموا الحكمة من بنى اسرائيل ... حتى ان سقراط الحكيم ذهب الى الارض المقدسـة وتعـلم الحـكمة من بنى اسرائيل ولـما رجع الى بلاد اليونان اسس الوحـدانية الالوهية ونشر مسـالة بقـاء الارواح بعد الموت » ، وهـكذا جعل عبـاس سقراط تلميذا للاسرائيليين وجعله يذهب الى فلسطين ليدعم فـكرته عن عظمة الفكر اليهودى !

ومـوقف الغرب من عبـاس ومن البهـائية هـو موقف التشـجيع والاحتضان . لقـد انعمت عليه بريطانيـا بنيشان فرسـان الامبراطورية البريطانية فى ٢٧ ابرائيل ١٩٢٠ . وفى امريكا الشمالية التى لا تقدم أبدا من يولع بالجديد وبالخارج على المألوف وجدت البهائية انصارا ونجحت فى تاسيس معبد لهـا فى شيكاغو واطلقت عليه محفل « مشرق الاذكار » ، كما اصبح لها فيها جريدة تصدر فى ذات المدينة منـذ عام ١٩١٠ باسم « نجمة الغـرب » فى تسعة عشر عددا هى عدد شهور السنة البهـائية . ويمتلك البهائية اراضى فسيحة فى شمال بحيرة ميتشجن . ويرجع البعض انتشار البهـائية فى امريـكا الى الدعاية التى قام بهـا الدكتور ابراهيم جورج خير الله وهو لبنانى مسيحى من اوائل خريجى الجامعة الامريكية ببيروت جاء خير الله هذا الى مصر واشتغل بالترجمة والتجارة والزراعة الا ان النحس لازمه فى كل هذه الأنشطة . اشار عليه الظهرانى أحد أعمدة البهائية فى مصر ان يذهب الى نيويورك داعيا للبهـائية على ان يقـوم الحاج عبد الكريم بمصاريف السفر . والغريب ان براهيم هذا استطاع ان

يجمع ثروة طائلة من الامريكان الذين اقبلوا على العقيدة الجديدة .
وعندما أراد عبد الكريم اقتسام هذه الارباح معه وهو الذى مول رحلته اضطر خير الله الى اعلان خروجه على عباس ومناصره اخيه وخصمه ميرزا محمد على . ولخير الله هذا عدة مؤلفات البهائية بالانجليزية منها :

— The door of the religion. Chicago 1891.

— O. Christian : Why do you belive not in christ, U.S.A. Chicago 1917.

ويمكنا القول ان عدد البهائية مع هذا فى امريكا ثابت لا يتزايد .

وقد نجحت البهائية فى عهد عباس فى أن تقيم معبدين فى تركستان ، وفى أن تكتسب انصارا عديدين فى مختلف الدول الأفريقية . اما روسيا فكانت تشجع بهاء الله تشجيعا لاحد له لأسباب سياسية ليكون هو واتباعه اداتها لتحقيق اغراضها فى ايران . وللبهائة فى روسيا معبدان أحدهما فى باكو — بادكوبة » ، والثانى فى عشق آباد . اما ايران منبت هذه العقيدة فقد قاومتها اشد المقاومة كما رأينا وكذلك فعلت الدولة العثمانية والهند .

أما فى مصر فكان للبهائية محفل هو « المحفل الروحانى المركزى البهائى بالقطر المصرى » . وكان يقع فى القاهرة . وكان للبهائية دعاة عديدون فى مصر منهم إلملا على التبريزى ومن بعده ابنه حسين افندى روحى الذى أصدر فى القاهرة بدءا من عام ١٩٠٤ مجلة شهرية تدعو للبهائية وأطلق عليها إسم « لسان الأمم » . وكان الرجل وابنه صاحبى مدرسة فى القاهرة هى مدرسة العباسية نسبة الى عباس بن بهاء الله . ومن الدعاة البهائية كذلك ميرزا حسين الخراسانى وعبد الكريم الطهرانى الذى تراجع عن هذه البدعة وتاب وعاد الى حظيرة الاسلام ، وفرج الله زكى الكردى صاحب مطبعة كردستان بالحسينية . وكان يدخل الجامع الأزهر بحجة طلب العلم ثم انكشف أمره بنشره « للدور البهية » ، فطرد منه . ومن دعاة البهائية الاساسيين فى مصر أبو الفضل الجرفادقانى الايرانى الذى ذهب الى أمريكا داعيا لعقيدته . ولقد اختلف موقف

العلماء المصريين من عباس أفندى ممثل العقيدة البهائية اختلافا بينا عند زيارته لمصر · وان دل هذا على شىء فانما يدل على الجهل بحقيقة هذه العقيدة من قبل البعض فلقد سبق أن أشرنا الى امتداح الشيخ على يوسف له ·

ومن المصريين من ساير دعاة البهائية حتى يقفوا على مكنونها ثم يفضح أمرها · ومن هؤلاء محمد فاضل صاحب الكتاب الشهير « الحراب فى صدر البهاء والباب » ·

الخـــــاتمة

يذهب بعض الباحثين وغالبيتهم من المسلمين الى أن الاختلاف بين كل من البابية والبهائية يكاد لا يذكر بحيث لا يمكننا القول انهما عقيدتان مختلفتان ، وهم يرون ذلك فيما يبدو لنا لأنهم يدرسون هاتين العقيدتين بدافع وحيد وهو انكار كل صلة لهما بالاسلام · ويذهب فريق اخر وهو الذى نشاركه الرأى بعد أن اتضحت لنا الفروق الجوهرية بين المذهبين الى أن عقيدة الباب تغيرت كثيراً على يدى بهاء الله الذى غالى فى النزعة الانسانية وفى محاولته للتجديد بحيث باتت البهائية غريبة تماما عن الاسلام الذى ادعت البابية أعما نبتت فى احضانه · فبينما كانت البابية محاولة لتجديد التشيع الامامى وخاصة التشيع الاثنى عشرى فى بدء الامر وان انحرفت عن هذا الهدف فى تطورها ، تحررت البهائية تماما من كل قيد فكانت « دينا » جديدا تماما وربما كان المفهوم الوحيد الذى احتفظت به البهائية من التراث الشيعى الامامى بعد أن غيرت مضمونه تماما هو مفهوم المهدى المنتظر ، وهو ذات المفهوم الذى تمسك به الباب من قبل ·

لم يكترث بهاء الله بتحديد الاسلام او بتعديله بل كان يحاول جاهدا صياغة دين جديد على حد تعبيره لا يمت باية صلة من الصلات بالاسلام أو بغيره من الأديان ، وان كان يستعين أحيانا ببعض الآيات القرآنية لاثبات ادعاءاته فمرجع ذلك لوجوده فى بيئة يسيطر عليها الاسلام ولو جد فى بيئة يهودية لاستعان بالتوراة ، وحجته دائما كانت انه هو الله الذى أوحى لرسله بالكتب المقدسة ليبلغونها للناس · ولهذا

فليس من شان المسلمين وحدهم اعتبار البهــائية بدعة يجب أن تحــارب باسم الدين بل هــذا شــان كل اصحاب الاديان السماوية الا اذا نظــر للبهــائية على انهــا من تلك المذاهب التى تصــطبغ بصبغة الدين والتى تظهر من آن لآخر لظروف اجتماعية وسياسية معينة ثم تخبوا باختفاء تلك الظروف ومن شأنها الا يؤمن بها الا كل مولع بالغريب الشاذ ٠ والبهــائيه فى رأينا ما هى الا تلفيق بين بعض مفاهيم الفلسفة الافلوطينية والفيثاغورية من ناحية ومفاهيم الفــكر الشيعى الاسماعيلى من جهــة ثانيــة والنزعة الانسانية للعالمية ولمساواة من جهة ثالثة ، وقــد استطاع بهاء الله هذا التلفيق لالمامه بالفلسفات المختلفة وبكافة الاديان ٠

وفى عهد عباس اصطبغت البهائية بطابع الحضارة الغربية مما خنق من حــدة كثير من الآراء المغــالية التى كان ينادى بها بهاء الله ، فقــد استطاع عباس أن يحرر المذهب من هــذا التناقض الذى كان قائمــا بين الاراء العالمية التقدمية التى دعى اليها ابوه بهاء الله وبين بعض الاصول الرجعية التى تمسك بها ، فوفق بين البهائية وبين بعض مفــاهيم الفــكر الغربى فى سبيل تخليص الدعــوة من الخزعبلات والخرافات التى كانت عالقة بها زمن ابيه ٠ ويمكننا القول ان البهائية فى عهد عباس اصبحت تلخص كل آمــال واحــلام اليهــودية والمســيحية والاســلام والبــوذية والماسونية معــا ؟

ولقــد أصبحت كلمة البهــائية حاليا مرادفة لمفهوم التحرر الدينى ، ومن هنا نفور الاسلام السنى منها ، أى أن هذه الــكلمة اصبحت تشير الى معنى قريب من كلمة زنديق التى كان الاســلام يستخدمها فيما مضى للدلالة على الخارجين على الدين ٠ أما فى ايران حيث الاسلام الشيعى فقد اصبحت هذه الكلمة لا تعنى اصحاب العقيدة البهائية كما ارساه بهاء الله وحسب بل بقى ايضــا العقلانيين المتحــررين دينيا ٠ وكان انصــار البهائية يتوقعون لها نجاحا عظيما فى الربع الأول من هذا القرن خاصة فى ايران الا ان هذا لم يتحقق على الاقل حتى الان بل كانت البهائية تبدو بدعة لا أكثر ولا أقل ٠ والبهائية يتمسكون بالتقية ولذا من الصعب وضع احصاءا دقيقا لهم وان كان عددهم فى ١٩٧١ كان يقدر تقريبا باكثر من

نصف مليون ينتمون لأكثـر من مائة جنسية ، بينما كان جولدزيهر يشير الى أن عددهم فى الربع الاخير من هذا القرن يبلغ الثلاثة ملايين ·وان صح هذا لكان معـدة ان موجة البهائية تنحصر · ولقـد أصبح البهائية الان الفقهاء منهم والناس العاديون يتقبلون فكرة أن البهائية لا تمثل فرقة من فرق الاسلام بل انهـا عقيدة عالميـة ولذا أصبحوا يدعون لهـا ليس بين المسلمين فحسب بل بين أصحاب كافة المعتقدات وحاليـا أصبح لهم دور عبـادة غير تلك التى ذكرناها ســالفا فى كل من ايلينوى وفرانكفورت وكمبالا واوغنـدا وسـيدنى وفى عـام ١٩٧٠ بدأوا فى تأسيس معبـد فى بنما ·

وبالرغم من كل شىء فقـد خيبت البهائية آمـال أصحابها ومن كانوا يساندونهم وخاصة اليهود الذين أقروا بحق أتباعها فى ممارسة شـعائر عقيدتهم ، ووجـدوا فى التوارة ــ فيما ادعى بعض علمائهم ــ اشـارة الى أن بهـاء الله وابنـه عبـاس من بعده سيعيدان مجـد يهـودا على جبل الـكرمل ·

المراجـــــع

- امين (أحمد) : المهدى والمهدوية ـ سلسلة اقرأ العـدد ١٠٣ ـ دار المعـارف مصر ٠

- صبحى (أحمد محمود) : نظرية الامامة لدى الشيعة الاثنى عشرية ـ تحليل فلسفى للعقيدة ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٦٩ ٠

- اسلمنت (ج ١٠ ٠) : بهـاء الله والعصر الجديد ـ ترجم باذن واجازة المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بالقطـر المصرى بمعرفة لجنة النشر والترجمـة البهـائية ـ مصر ـ بدون تاريخ ٠

- ميرزا عبد الحسين أواره : الـكواكب الدرية فى تاريخ ظهور البـابية والبهائية ، ترجمة عن الفارسية أحمد فائق رشد ـ نشر عزت العطار ـ القاهرة ٠

- فاضل (محمـد) : الحراب فى صدر البهـاء والبـاب ١٩٢٤ ـ دار التقدم ـ القاهرة ١٩١١ ٠

- قبعين (سلم) : عبد البهـاء والبهـائية ـ مطبعة العمـران ـ مصر ـ بدون تاريخ ٠

- كتاب تاريخ ومبادىء البهـائية من محـادثات عبد البهـاء فى لنـدن وباريس وأمريكا ـ ترجمة عن الانجليزية ـ مطبعة رعمسيس بالفجالة ـ مصر ـ بدون تاريخ ٠

- ميرزا محمد مهـدى خـان : مفتـاح باب الابواب ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة مجلة المنار الاسلامية ـ القاهرة ١٣٢١هـ ٠

- نسائم الرحمن : منتخبات من آثار حضرة بهاء الله » ـ طبعت بمعرفه المحفل الروحانى المركزى للبهائيين بشـمال غـرب أفريقيا ـ بدون مـكان نشر ولا تاريخ ٠

ـ نصحى (عبد العزيز) : البهائيون من أخطر المعاول لهدم الاسلام ـ محاضرة القاها عبد العزيز نصحى فى جمعية الهداية الاسلامية بالقاهرة ـ القاهرة ١٣٥٢ ـ المطبعة السلفية .

— Abdul Béha : Les leçons de Saint Jean d'Acre, recueillies par Laura Clifford Traduction Hippolyte Dreyfus Paris 1908.

— Béhà Ullah : Le livre de la certitude-Kitab I-Iqan-Traduction française par Hippolyte Dreyfus-Presses Universitaires de France 1973.

— Béhà Ullah : Les paroles cachées Traduction de H. Dreyfus et Mirza Habib - Ullah - Chicago Paris 19/5.

— Browne (E.G.) : A traveller's narrative written to illustrate the Episode of the Bab-2volumes The University press of Cambridge 1891.

— Brown (E.G.) : Materials for the study of the Babi religion-Cambridge 1918.

— De Gobineau : Les religions et les philosophies de l'Asie centrale-2ème tome Gallimard 1899.

— De Vaux (Barron Carra) : Les penseurs de l'Islam-tome 5 - Paul Geuthner Paris.

— Dreyfus (H) : Essai sur le baha'isme-son histoire, sa portée sociale 3ème édition - Presses Universitaires de France 1962.

— Encyclopaedia Britannica : 15th edition 1973 - 1974 Macropeadia volume II — Micropeadia volume I.

— Encyclopédie de l'Islam: tome I.

— Nicolas (A.L.M.) : Seyyed Ali Mohammed dit le Bab-Paris 1905. - Le Béyan arabe - Le livre sacré du babisme Traduction-Paris 1905.

— Tag (Abd El Rahman) : Le babisme et l'Islam - Recherche sur les origines du Babisme et ses rapports avec l'Islam-Paris 1942.

الفهـــرس

الموضـــوع | الصفحة

الفصــل الثــانى

الفصــل الثــالث

الموضوع	الصفحة
الفصل الرابع	

رقم الايداع بدار الكتب المصرية

٢٩٣٨ / ١٩٨٦ م

دار الثقــافة للطباعة والنشر
٢١ شارع كامل صــدقى ـ الفجــالة
تليفون ٩١٦٠٧٦ ـ القاهرة